خطأ طبي كاد يودي بحياة عبد الكريم قاسم 1959

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2468) السنة التاسعة
الاثنين (30) نيسان 2012

15

يونس بحري كما يصفه كاتب عربي

دور السينما في الحلة... اطلالة تاريخية

محمد هادي

استغرب صديقي البغدادي بل لم يصدقني على الاطلاق حين ذكرت له ان مدينة الحلة كان فيها دور للسينما اواسط ثلاثينيات القرن المنصرف ومبعث استغرابه هو ان المجتمع الذي يهتم بالسينما يكون بكل تأكيد مجتمع يبحث عن المعرفة والوعي وهو مجتمع متحضر ومتطور، لا لأن السينما وسيلة حضارية فحسب بل لكونها لم تنتشر في تلك الحقبة بباقي مدن العراق واقتصر وجودها على العاصمة بغداد مع عدد قليل من المدن الكبرى كالبصرة والموصل ولأن دور السينما في الحلة انحسرت ان لم تكن قد اغلقت نهائيا بعد ان تحولت بناياتها الى مخازن ومحلات وكراجات ولأنها اصبحت من الماضي ولا أمل في عودة الحياة اليها وبث الروح فيها من جديد والأسباب كثيرة لا مجال لحصرها في هذه الموضوعة الصغيرة.

فلا بأس من ان نمر ولو مرور الكرام على اهم دور السينما في الحلة خلال القرن الماضي مع تواريخ انشائها وامكانها وبعض الاسماء التي تيسرت لدينا اثناء البحث في هذه الموضوعة.

اول دار سينما في الحلة

في العام ١٩٣٦ وفي محاولة من مجموعة من المتنورين والمحبين للثقافة والفنون ومن اجل ايجاد فسحة للمتعة والتشويق بين المجتمع الحلي في تلك السنوات، تم انشاء سينما الحمراء الشتوي وكان موقعها في الجانب الكبير قرب شط الحلة وفي المكان المقابل لبلدية الحلة اليوم، كانت البناية حديثة وجميلة وتتألف من طابقين الأرضي وكان الدخول اليه بسعر (٤٠) فلسا ويطلق عليه عامة اهل الحلة في تلك السنوات (ابو الاربعين) فيما كان سعر بطاقة الدخول والمشاهدة من الطابق الثاني (العلوي) بسعر سبعين فلسا وفي بعض السينمات كان الدخول ستين فلسا. لقد عد افتتاح السينما يومذاك حدثا مهما استغلته الكثير من العوائل الحلية التي كانت ترتاد السينما وبشكل متواصل، حيث كانت الاسر تستخدم الربلات في تنقلها او تأتي سيرا على الاقدام كون المناطق متقاربة وليست بالبعيدة عن مكان السينما بعد النجاح الذي حققته سينما الحمراء الشتوي اتجهت النية الى انشاء سينما الحمراء الصيفي وكان ذلك في العام ١٩٤٧ لقد كان موقع سينما الحمراء الصيفي في منطقة باب الحسين بجوار مقهى السدير وموقعها اليوم في مكان دائرة ماء بابل، وكان روادها من مختلف شرائح مجتمع الحلة والمناطق المجاورة بعد ذلك بسنوات تم انشاء دار سينما الفرات في الجانب الكبير وفي محلة السنية وبجانب مقهى ابو جمال لقد كنا نرتاد هذه السينما حيث شاهدنا الكثير من الافلام المميزة وقد استمرت سينما الفرات حتى سبعينيات القرن الماضي ومن الافلام الكبيرة التي شاهدتها في هذه الدار فيلم الأم عن رواية مكسيم جوركي وفيلم الحرب والسلام واغتيال مهدي بن بركة وفيلم العدالة المفقودة اضافة الى الافلام الروائية الكبيرة التي انتجتها هوليود لعمالقة الفن السابع كذلك الافلام الهندية التي كان لها روادها وجمهورها الغفير ومن اشهر افلام التي عرضت في سينما الفرات أم الهند وسنكام اضافة الى افلام الممثل الشهير شامي كابور ومنافسه راجندر كومار لقد كانت سينما الفرات اسوة ببقية دور السينما الاخرى تزيد من ساعات العرض في ايام الاعياد حيث يكون العرض متواصلا فيلما بعد آخر، اذ يقوم عمال السينما باخراج الجمهور ومنع من يريد مشاهدة الفيلم مرة اخرى مجانا واتذكر ان ادارة السينما كانت تضع قطعة تعريفية لبعض الافلام حيث كنا نقرأ عبارة (سكوب ملون بالالوان الطبيعية).

سينما الفرات الصيفي

في نهاية الاربعينيات تم افتتاح سينما الفرات الصيفي ولكن هذه المرة في جانب الحلة الصغير وفي بستان هجول وفي المكان الذي اصبح فيما بعد دائرة صحة محافظة بابل كانت بناية الدار متناسقة وفي تصميم هندسي جميل نال اعجاب الجميع ممن شاهده لم تستمر سينما الفرات الصيفي سوى بضع سنين ثم تم هدمها وبقيت المقهى الشهيرة (مقهى حمود هجول) في نفس الموقع.

سينما بابل الصيفي والشتوي

في محلة الجامعين تم بناء داري سينما اواسط الخمسينيات من القرن الماضي هما سينما بابل الشتوي وسينما بابل الصيفي واغلقت في منتصف الستينيات من القرن المنصرم ايضا.

سينما الجمهورية

ومن الدور الحديثة دار سينما الجمهورية ومكانها بين برج الاتصالات والعيادة الشعبية وقد انشأت بعد ثورة الرابع عشر من تموز وكان افتتاحها في حزيران ١٩٥٩ هذه السينما كانت من الدور المتميزة في الحلة حيث تقوم بعرض الافلام الحديثة وتتنافس مع سينما الفرات بالتسابق في جلب الجماهير تعرضت هذه السينما للاضرار في احداث ١٩٩١ واحترق جزء منها لكن ادارتها اعادت اعمارها بعد سنة بطابق واحد مع مسرح لكنها لم تجد النجاح على الرغم من العروض المسرحية التي كانت تقدمها الفرق المسرحية البغدادية تعرضت السينما الى خسائر جراء قلة الرواد حتى انها كانت تقدم الاغراءات للداخلين بعرض فيلمين او ثلاثة افلام في البطاقة الواحدة فأضطرت ادارة سينما الجمهورية الى اغلاقها وتحولت اليوم الى محال تجارية ومخازن.

سينما الخيام

تأخر تشييدها كثيرا حيث لم يرق للبعض مكانها في جانب الطريق المؤدي الى مدينة كربلاء، ثم افتتحت نهاية ستينيات القرن الماضي وهي بناية نموذجية اشتملت على طابقين وفيها مقصورات وملحق تضمن سينما صيفي ومن الافلام الشهيرة التي عرضت في هذه السينما فيلم (ابي فوق الشجرة) لعبد الحليم حافظ ونادية لطفي واستمر عرضه لعدة اسابيع والفيلم الشهير زد وافلام كثيرة اخرى هذه السينما تحولت الى مسرح ايضا وبذلت ادارتها جميع ما تيسر من اغراءات غير انها فشلت في جلب الرواد لذلك اغلقت وتحولت الى محال تجارية ومخازن اما سينما الخيام الصيفي فقد تم تحويلها الى كراج لوقوف السيارات، بعد ذلك تم عرض البناء باكمله في المزاد العلني.

سينما بابل الشتوي

تقع هذه السينما التي افتتحت بنايتها في العام ١٩٨٣ في شارع الامام علي من جهة باب المشهد وتعود الى محمد علي عبد وبهجت مالك، كان بناء هذه السينما حديثا وقد نجحت كثيراً في بداية عملها الا ان العمل تعثر حيث تحولت هي الاخرى الى محال تجارية ومخازن لا علاقة لها بالسينما ولا بالفنون.

محاولات بعد التغيير

في محاولة منها بعد التغيير قامت نقابة الفنانين فرع بابل وبجهود من نقيب الفنانين انذاك الفنان حميد شاكر بتأسيس ناد للسينما عرض فيه احدث الافلام العربية والاجنبية مثل المسيح عليه السلام وافلام عادل امام اضافة الى السمفونيات العالمية التي كانت تصاحب العرض لقد كان طموح حميد شاكر كبيرا وقد ايد الفكرة الاستاذ مفيد الجزائري وزير الثقافة الاسبق حين تم طرحها عليه من قبل الشهيد الاديب قاسم عبد الامير عبد الامير عجام الا ان الفكرة لم تكتمل ولم يكتب لها النجاح.

دار ود

تبنت دار ود للثقافة والفنون مهمة احياء فكرة نادي السينما فقامت وبجهود من قبل الفنان د. باسم العسماوي بعرض احد الافلام المنتقاة اسبوعيا وقد شهدت الفكرة نجاحا من قبل الادباء والفنانين ومحبي السينما في الحلة لكن هذه التجربة لم تتواصل واصبحت تعرض الافلام في اوقات متباعدة. دور السينما في الحلة ما تزال ذكرياتها الجميلة عاطرة في نفوس المواطن الحلي والكثير منا يتذكر كيف كانت الربلات تحمل دعايات الافلام وتتنافس وتتفنن في جلب المشاهدين كما لايمكننا ان ننسى ايام العيد والتي يعد دخول السينما اهم طقوسها ان لم يكن الاهم على الاطلاق خاصة اذا كانت البطاقة ام الاربعين فلسا ومعها (لفة السندويج ام العنبة) راحت ايام السينمات الحلية التي كانت تستقطب الرواد من المحافظات المجاورة وضاعت فرصتها وسط هذا الكم الهائل من القنوات الفضائية التي تقدم كل ما هو جديد للمشاهد اولا بأول وهو جالس في بيته اضافة الى ما سبقها من اشرطة الفيديو والسيدي وغير ذلك من الأمور التي تتجدد اجيالها كل يوم..

رأيت شارع الرشيد مهجوراً

مي مظفر
أديبة وكاتبة عراقية

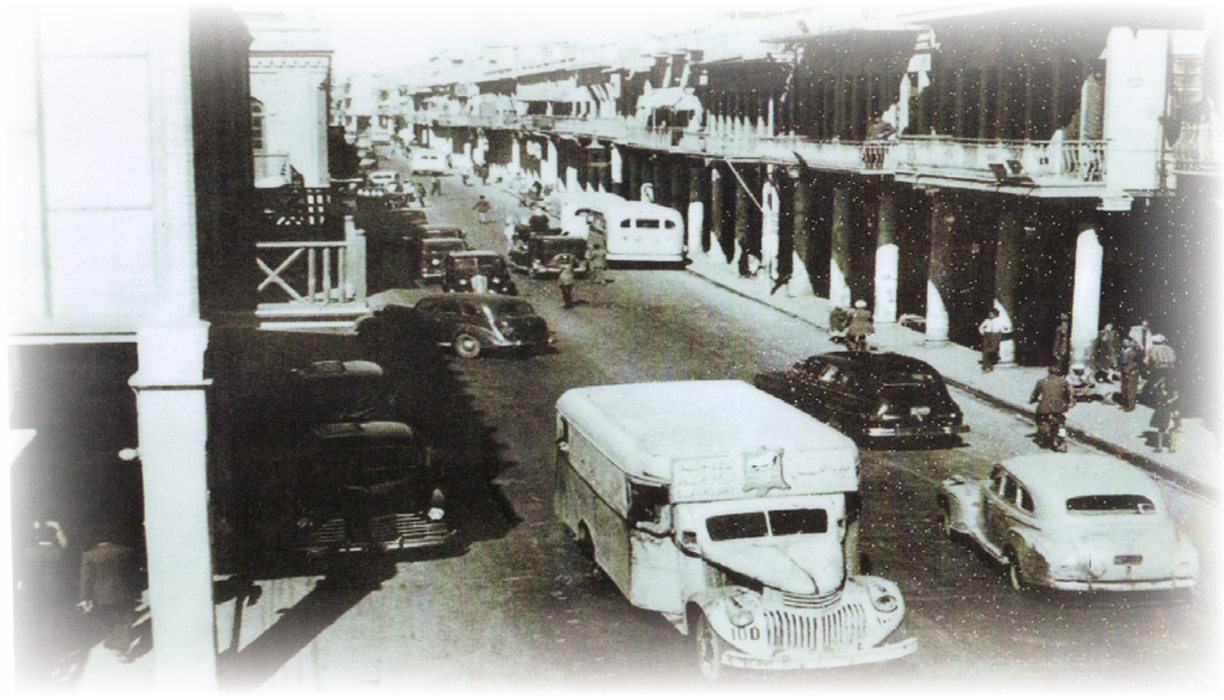

من خلال شاشة التلفاز مشى المصور الأجنبي بشق طريقه على امتداد شارع الرشيد الذي كان خاليا عند تلك اللحظة الغراقة في الغسق من أي انسان او حركة.. بدأ الشارع مثقبا مبعثر الاشلاء، انخلعت مصاريع الشبابيك وبقيت معلقة من مفاصلها، امتلأت الشرفات بعلب الكارتون. تدلت اسلام الكهرباء والهواتف متشابكة ومتقاطعة بفوضى عارمة.

كنت قد رأيت شارع الرشيد العامر ذات مرة خاليا.

كان فجر يوم صيفي دافئ، خرجت بدراجتي الصغيرة مجتازة البوابة الحديدية. وجدت الطريق خاليا، لا بشر فيه ولا أثر لحركة، ابواب دور الجيران مغلقة وساكنة. خلا الشارع من المارة تماماً حتى بدت بغداد مهجورة من اهلها في تلك الساعة المبكرة.

قادني الطريق الى الباب المعظم، اسوار السجن الى اليمين خلت من الحركة والحرس، وليس هناك من يدخل او يخرج من بوابة وزارة الدفاع، رفرفت شرائط القماش المربوطة في المدفع (طوب ابو خزامة) لنذور نسوة لا يلدن. غمرتني سعادة فائضة، سأذهب الى اوروزي باك، سانعم بكل ما تمنيت امتلاكه من اللعب.

قلت لأسرع قبل ان ترتفع الشمس ويمتلئ هذا المسرح الحيوي بالبغداديين وطقوس حياتهم المتناقضة اليومية، مواكب الاعراس، وتشييع الموتى، وجرائم الشرف، والتظاهرات السياسية لا أهمية لها إلا إذا مرت من هنا.

رأيت شارع الرشيد فارغا، ممتدا بلا نهاية، اشعة ناعمة تساقطت بكسل على المباني مع بدء ارتفاع الشمس، وليس ثمة حركة في المكان.

اغراني الفراغ، مضيت بدراجتي سالكة خط باص المدرسة الذي يقلنا يوميا من الدار جنوبا الى المدرسة. لأول مرة كنت ارى العمارات صامتة تقف بوقار. تتجانس طرزها المتداخلة بين شرق وغرب، يوحدها الايقاع المتكرر للشرفات الناتئة والاعمدة الكورنثية، على الجانبين بدت الازقة الصامتة غارقة بظلال داكنة وغائرة في اعماق خفية من عمر بغداد وتاريخها البعيد.

كانت المحلات مفتوحة وعامرة بالبضائع، لكنها بلا حراس ولا باعة ولا مشترين، اختفت العربات ذات الحصانين والسيارات، واختفى الباعة والشحاذون وصباغو الاحذية، لم يكن ثمة احد على الاطلاق، حتى القطط والكلاب السائبة التي كانت ترعبنا اختفت من الطريق. كان الشارع لي وحدي.

خلا دكان الحاج زبالة المقابل لجامع الحيدرخانة، على غير عادته، من زبائنه المتعطشين دائما لشراب الزبيب اللذيذ والجن الابيض. اطلت عليّ، في الجانب الأيسر من الشارع، صور ام كلثوم وفريد الأطرش على واجهة دكان مزهر، المصور المولع برسم بورتريهات مشاهير الفنانين العرب. قدماي تدوران لدفع الدراجة وعيناي شاخصتان على الامكنة، انبعثت من الاكمكخانة رائحة الصمون من المخبز العسكري في بداية شارع المتنبي، لا اثر لإنسان على خطوات منه بدأ سوق الأمانة مفتوحا وعامرا بالخضرة والفواكه المعروضة بتناسق جميل. تسربت من دكان ابن كنو رائحة التفاح اللبناني المغلف بالورق الابيض الشفاف.

انتصبت، في الركن الأيمن للجسر صورة عملاقة لتحية كاريوكا بلباس الرقص التقليدي على مدخل سينما الحمراء الصيفي، وعلى مسافة امتار وقفت امام المحل الذي يعرض الدمية ذات النظارة الكبيرة. اقتربت من زجاج النافذة، رأيت الدمية تجلس وحدها مائلة كما كنت اراها كل يوم من شباك باص المدرسة واحلم بامتلاكها. كانت تحتل خلفية الواجهة الزجاجية المليئة بمختلف اشكال النظارات. بدت لي من قريب مهلهلة الثوب غارقة بالغبار. إذا، هو كما قال لي ابي محل لبيع النظارات لا الدمى. مررت سريا امام مكتبة مكنزي المجاورة. فهو ليس لي بل لأشخاص كبار مثل أبي. وكثيرا ما تلمست المجلدات الانيقة للكتب المعروضة على المنضدة الزجاجية او الرفوف، واستنشقت رائحتها النفاذة، وحركت بقوة خارطة العالم الكورية في الوسط. هكذا ارتبط العلم برائحة الكتب. اسرعت الخطى متجهة الى اوروزي باك. وجدت الباب مشرعا، مثل كل المحلات التي مررت بها، والمكان خاليا من الناس. هل انا اليس في بلاد العجائب. على بعد امتار منه المقهى البرازيلي والمقهى السويسري، ستامتع فيما بعد بالشكولاته المثلجة (الشوكولا كلاسيه). اللعب اولا، كانت محلات اوروزي باك الفرنسية اكبر متاجر بغداد واجملها، في مطلع الخمسين من القرن الماضي، انتقلت من موقعها في ركن من شارع المستنصر الى بناية متعددة الطوابق على شارع الرشيد، مع مخرج خلفي يقضي الى النهر، فيها من المغريات ما لم يكن بوسع الاطفال مقاومتها.

كان افتتاح الموقع الجديد لمحلات اوروزي باك الفرنسية في سيد سلطان علي حدثا دوّى صداه في بغداد وجرى له افتتاح رسمي واجهة ممتدة استعرضت نماذج من احدث الازياء الفرنسية، والعطور والاحذية والحقائب، والمستلزمات المنزلية، وكل غريب وجميل: دفاتر باغلفة جلدية انيقة لها اقفال توحي بعوالم سحرية في داخلها، كان سعر الواحدة منها يصل احيانا الى ثمانية دنانير، وهو اغلى من سعر اي دمية في ذلك الوقت.

"اصبح بوسعي الان امتلاك ما اريد".

كان الموقع الجديد لاوروزي باك وافتتاحه حدثا مهما في بغداد، سلع فرنسية، احدث الازياء، قطع من كريستال باكارا الثمين واطقم الكريستوفل والبورسلين من الويدج وود والروزنتال، على غرار ما كان يعرض في باريس. في المبنى الجديد لاوروزي باك مصعد كبير مؤثث بمصطبة، حدث بذاته طفى على متعة التفرج على البضاعة والاقتناء، استخدام المصعد الكهربائي والجلوس على مصطبته الخشبية جعل الرجال يزاحمون الاطفال والنساء الى حد التدافع الذي كان ينتج عنه توقف المصعد احيانا، كثيرمن الزوار كانوا يأتون خصيصا لاستخدام المصعد، او التعرف اليه.

وكثيرون بطبيعة الحال كانوا يحذرون استخدامه، "ماذا لو توقف او سقط؟".

كل شيء كان في متناول يدي، كان باب المصعد مفتوحا، والمصطبة فارغة ، لم اجرؤ على استخدامه. صعدت بالسلم الى الطابق الثاني، احاطني عالم من اللعب الساحرة وسط صمت عميق، جلست انتقي واتفحص واختبر بلا رادع او رقيب. لا ادري كم من الوقت امضيت هناك، مع خفوت الضوء بدا الفراغ مليئا بعيون كبيرة حاصرتني بنظراتها. بعيدة عن اهالي، تملكني رعب فاق كل إغراء، تخليت عما كان في يدي. هبطت السلم اعدو واتلفت حولي، تناولت دراجتي وتوجهت مسرعة الى البيت.

لم يرافقني على امتداد طريق العودة سوى ضربات قلبي المرعوب، بدا شارع الرشيد طويلا ومعتما، والمحلات غيلانا تفتح فمها لتبتلعني، او شياطين تمد نحوي مخالب حادة تنال مني ولا تنال، اصبحت العودة بين الجدران الآمنة امنيتي.

حين اقتربت من محلتنا تذكرت ان عليّ المرور بمقبرة الاتراك، في الركن القريب من بيتنا كنا نحذر دائما المرور من جانبها بعد ان يحل الغروب. قيل ان الاموات ينهضون في تلك الاوقات ويتجولون، وربما يخطفون بعض من يرون من الاطفال، ارتعش جسمي وتسارع خفقان قلبي يسابق سرعة الدراجة، حتى سرى في ساقي المتشنجتين ألم كبير من شدة الضغط.

كنت قد وصلت الدار، وجدتها معتمة، والباب مفتوحا، ولجت الصالة فلم اجد احدا، صرخت فاحاطني الظلام.

سمعت صوتا قادما من عمق الدار يسأل: "اين انت؟".

من كتابها (ألم يبق منهم أحد)
بيروت 2010

مع العلامة الدكتور مصطفى جواد

في دائـــرة الآثـــار العـامـة
(1942 - 1948)

سالم الآلوسي
مؤرخ وآثاري عراقي

اتسعت شهرة العلامة الدكتور مصطفى جواد في الاوساط الرسمية والشعبية لمنزلته العلمية العالية، وثقافته الموسوعية ولهذا دعي لتعليم الملك فيصل الثاني من عام ١٩٤٢ حتى ١٩٤٨ وقد بدأ تعليمه في السنة السابعة من عمره، وعلمه القراءة والكتابة، قال العلامة جواد: "ولصعوبة الجمع بين التدريس في دار المعلمين العالية وتعليم الملك الصغير – كما يقول – طلبت ان انقل الى مديرية الآثـار، فنقلت الى وظيفة ملاحظ فني، ثم رأيت سوء الادارة فيها وبقاء راتبي المالي على حاله رجعت الى دار المعلمين العالية وبقيت الى ان انشأت جامعة بغداد – وسميت هذه الكلية باسم كلية التربية".

شارك الدكتور مصطفى جواد مشاركة جادة خلال عمله في مديرية الآثار العامة مؤرخاً، باحثاً ناقداً ومحققاً فكان من ابرز اعضاء هيئة تحرير مجلة "سومر" العلمية الآثارية التي كانت تصدرها المديرية المذكورة منذ عام ١٩٤٥، ومن يتصفح فهارس المجلة يجدها حافلة بابحاث الدكتور جواد ومقالاته وتعقيباته ونقداته وهي على درجة عالية من الرصانة ودقة البحث، وله الفضل في حذف كلمة (القديمة) من اسم مديرية الآثار القديمة، لكون الآثار تصف بالقدم، والاكتفاء بدائرة أو دار الآثار.

زيارة الملك فيصل للآثار:

حدثنا الدكتور جواد: "كان خلال تعليمه الملك فيصل الثاني اللغة العربية والتاريخ يأتي له ببعض الامثلة والشواهد التاريخية الخاصة بتاريخ العراق، وكان يرغبه في زيارة الآثار، فاستجاب جلالته لهذه الرغبة حيث قام بزيارة المتحف العراقي يوم ١٩٤٥/١٢/٦ اعقبها بزيارة الى دار الآثار العربية في خان مرجان يوم ١٩٤٥/١٢/١٣ وكان يرافقه الامير رعد نجل الامير زيد ورئيس المرافقين لجلالته العقيد عبد الوهاب عبد اللطيف كان في استقبال الملك هيئة برئاسة الدكتور ناجي الاصيل مدير الآثار العام، والاساتذة : طه باقر امين المتحف العراقي، والمستر سيتون لويد، المشاور الفني في مديرية الآثار العامة، والدكتور مصطفى جواد الملاحظ الفني فيها، والسيد داود ضياء المسؤول عن ادارة متحف الآثار العربية، والسيد سالم الآلوسي دليل المتحف (كاتب المقال).

كان دخول الملك من باب دار الآثار العربية في خان مرجان في شارع السموأل وهي باب مستحدثة، فالباب الاصلية تقع في سوق الاقمشة بدلالة الكتابة التاريخية التي تعلو المدخل.

تولى الدكتور ناجي الاصيل تقديم نبذة مختصرة عن الدول والسلالات التي حكمت العراق بعد سقوط الدولة العباسية، وهم الأيلخانيون ٦٥٦ – ٧٣٨ هـ، ثم جاء بعدهم الجلائريون من ٧٣٨ – ٨١٤ هـ وبعد الجلائريين حكمت اسر ودول تركمانية القره قوينلو والاق قوينلو آخرها الدولة العثمانية التي انتهى حكمها للعراق باحتلال الجيش البريطاني بغداد عام ١٩١٧ بعدها التفت الدكتور الاصيل نحو الدكتور مصطفى جواد طالبا منه الكلام عن تاريخ الخان الذي تم تحويله بعد صيانته وترميمه الى متحف يضم الآثار العربية.

استهل الدكتور جواد كلامه عن الجلائريين واهتمامهم بالعمران ومن آثارهم ببغداد المدرسة المرجانية التي شيدها امين الدين مرجان على عهد السلطان الشيخ اويس الجلائري عام ٧٥٨ هـ (١٣٥٦م)

وتعرف المدرسة هذه الايام بجامع مرجان وفي هذه المدرسة تولى عدد من علماء الاسرة الالوسية التدريس فيها.

اما هذه البناية التي تعرف بخان مرجان، فهي من اوقاف المدرسة المرجانية وقد تم بناؤها عام ٧٦٠هـ (١٣٥٨م) وتعرف بالتركية بـ(خان الاورتمة او الاورطمه) اي الخان المستور او المسقوف، وكان البناء بمثابة قسم داخلي لطلاب المدرسة وفندق يؤمه التجار وارباب الاموال والبضائع للبيع والشراء، وكانت مديرية الآثار العامة قد تسلمته من مديرية الاوقاف العامة واصلحته وجعلته دار للآثار العربية والاسلامية التي تضم مجموعة نفيسة من الآثار من بينها تلك التي اكتشفتها دائرة الآثار في كل من الكوفة التي بناها القائد العربي سعد بن ابي وقاص، ومدينة واسط التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي في سنة ٨٣ هـ، والآثار المكتشفة في سامراء، عاصمة العباسيين الثانية بعد بغداد، وحتى شيدها الخليفة محمد المعتصم بن هرون الرشيد، وهناك مجموعات متفرقة من الآثار المصنوعة من الخشب والمعدن والفخار والحجر ومن المنسوجات المطرزة والمكتوبة ، ارجوا مولانا جلالة الملك ان يتفضل بمشاهدتها.

حب ماء: تجول الملك والامير رعد في قاعات العرض وقد تناوب الكلام وشرح الآثـار والمعروضات الدكتور الاصيل والدكتور جواد، وعند دخولهم قاعة الاواني الفخارية، جلب نظر الملك فيصل جرة كبيرة أو (حب للماء) مزينة بالزخارف والنقوش البارزة الجميلة فالتفت نحو الدكتور الأصيل مستفسراً فاجابه: يا سيدي هذا نوع نفيس من الاواني الفخارية تتميز بالكتابة والنقوش الثاثة وهو ما يعرف عند مؤرخي الفنون الاسلامية بـ (البار بوتين) وكان يحلي هذا الاناء بيتان من الشعر بالخط النسخي الناتيء فاستوضح عن فحواها ومعناها وهنا جاء دور الدكتور جواد فانحنى متفحصاً مدققاً قارئاً وبعد هنيهة قال: يا سيدي هذا شعر يعبر عن حال هذا الحب وكيف استقر به المقام في بيت أهل للفضل والكرم بعد معاناة ومكابدة!

انا حب للماء في شفاء
ورواء للوارد الضمآن
نلت هذا عند الكرام بصبري
يوم القيت في لظى النيران

فضحك جلالة الملك ومرافقوه واثنوا على براعة الدكتور جواد في قراءة النصوص وبعد التجوال دخلوا قاعة المعروضات المعدنية، وكانت تضم آثاراً من النحاس والبرونز كالاواني والقدور والاباريق والكؤوس والصواني وغيرها، اشار الدكتور جواد الى اثر معروض مصنوع من النحاس غريب الهيئة والشكل، قائلا: هذه ياجلالة الملك اداة من ادوات العلم والادب وتسمى (المقلمة) وهي عبارة عن دواة او محبرة الصقت بجسم مستطيل لحفظ الاقلام. وكانت هذه الاداة يحملها العلماء والشعراء والكتاب واصحاب الحاجات في حلهم وترحالهم، يضعونها في احزمتهم عند الانتقال مشيا او ركوبا، ويستعملونها بعد وضع الحبر في الدواة لمباشرة الكتابة. وممن الطريف يا صاحب الجلالة ان شاعرا من الشعراء نظم ثلاثة ابيات من الشعر جعلها لغزاً (حزورة)، يقول الشاعر:

وساكن بيت طعمه عند رأسه
اذا ذاق منْ ذاك الطعام تكلما
يقوم ويمشي صامتاً متكلماً
ويرجع للبيت الذي منه اطعما
فليس بحي يستحق كرامة
وليس بميت يستحق الترحما

وكثير ممن يستمع الى هذه الابيات يستعصي عليه فهم المراد وصفه وهو القلم الذي يقوم ويمشي صامتا متكلما، ويرجع للبيت اي للمقلمة – اما طعامه فهو الحبر الذي يحفظ في الدواة ووضعها عند رأس القلم بعد الانتهاء من الكتابة.

والمقلمة: يا سيدي هي موضع ومكان حفظ الاقلام ومثلها.

المدرسة: مكان الدرس

والمـأذنـة: مكـان الاذان – المـنـارة في المساجد.

والمبخرة: مكان البخور

والمملكة: مكان اقامة جلالة الملك

وكانت ايضاحات وشرح الدكتور جواد موضع اعـجـاب والـتـقـدير الحاضرين المرافقين لجلالة الملك.

ولم يكتف الدكتور جواد بذلك فهمس قائلاً للدكتور الاصيل: مولانا الاستاذ – اما كان الاحرى بالقائمين على شؤون المتاحف والآثـار ان يطلقوا كلمة (المأثـرة) على المتحف، لانها المكان المخصص للآثار؟

فرد عليه الدكتور الاصيل قائلا: ولكن كلمة المتحف ابلغ واجمل لانها مكان حفظ التحف، بعدها هرع الحضور لتوديع جلالة الملك.

مع الراحل مصطفى جواد

عيد العمال العالمي

هذا الملف من ارشيف المؤرخ شهاب احمد الحميد

محمد صالح القزاز
رائـد الـحـركـة الـعـمـالـيـة فـي الـعـراق

د. ذياب فهد الطائي

في عام ١٩٣٠ صدرت مجلة نصف شهرية باسم الصنائع أصدرها القائد النقابي محمد صالح القزاز لتنطق باسم أصحاب الصنائع في العراق

ويذكر النقابي "شمخي جبر "على موقع سومريون كوم في حديثه عن الذكري الأربعين لإضراب عمال الزيوت النقابية :

((كانت جمعية " أصحاب الصنائع في العراق " أول جمعية منظمة خاضت ميدان الصراع حتى أجيزت العام ١٩٢٨ .ولعبت دوراً قيادياً في تنظيم الحركة النقابية واكتسبت التأثير المبكر من الشخصية الوطنية جعفر أبو التمن " والحزب الوطني الذي كان يقوده ، ومن خلالها، انتشرت حركة تأسيس الجمعيات والنقابات العمالية مثل: (جمعية تعاون الحلاقين وجمعية البقالين وجمعية عمال المطابع وجمعية اتحاد المقاهي والمطاعم والـفـنـادق) في بغداد وجمعيات عدة في الموصل كجمعية الخشابين ونقابة البقالين)).

كتب فيها حسين الرحال ، عبد الفتاح إبراهيم ،عبد الله جدوع وعبد القادر السياب (الذي كان واحدا من أصدقاء "فهد").

ورغبة من المشرفين على المجلة إعطاءها اسما أكثر قربا من الجماهير فقد تقدموا بطلب تغيير أسمها الى (صوت العامل) إلا أن طلبهم تم رفضه من قبل السلطات

الأهالي

الرأي العالمي

مقاطعة الكهرباء في يوم الثاني والعشرين

ماهذا التصرف؟

كان القزاز قد كسب الى جانبه جماهير العمال الذين وقفوا بوجه السلطات وأعلنوا الإضراب الذي رافقته مظاهرات صاخبة تنادي ببطلان قانون الرسوم البلدية الذي كان مثار معارضة واسعة في الشارع العراقي

وكرد على هذا التصعيد قامت الشرطة في الساعة الثامنة من مساء ٠٤ تموز ١٩٣١ وحتى الساعة السادسة من صباح اليوم التالي باعتقال مجموعة كبيرة من العمال المتهمين بالتحريض وعلى رأسهم محمد صالح القزاز (رئيس الجمعية) وأعلنت أنها ستقدمهم للمحاكمة بموجب الفقرة الثالثة من قانون العقوبات البغدادي.

وقد أدى الإجراء الحكومي الى أن يعم الإضراب كل مناحي الحياة العامة في بغداد وتتوقف حركة النقل ، وعلى اثر ذلك أصدرت أمانة العاصمة قرارا خلاصته: إن مجلس أمانة العاصمة نظر في قضية رسوم البلديات مقارنة بحالة الضيق السائدة ودعا (مخاتير)

المحلات ، وشرح لهم الوضع الحالي ودعاهم أن يفهموا الأهالي على استئناف أعمالهم ،ثم نظر في العرائض المقدمة له مستندا الى الصلاحية المخولة له في المادة الثانية من قانون رسوم البلديات ، وقرر شطب وتخفيض بعض الضرائب الواردة في جداول الرسوم وحسبما تقتضيه الحالة الاقتصادية الراهنة وما ينسحب على كل مكلف بنسبة أرباحه ودعا المضربين الى العودة لمزاولة أعمالهم.

ويذكر السيد نقيب ذوي المهن الهندسية الفنية في الشركة العامة للسكك الحديدية ، (علي حسين) في حديثه في الذكرى الأربعين للإضراب الذي قام به عمال شركة الزيوت النباتية في بغداد.

((بادر رائد الحركة النقابية في العراق المرحوم (محمد صالح القزاز)عام ١٩٢٤ مع العمال النشطين بطلب تكوين أول منظمة للعمال ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح حيث لم تحصل الموافقة على إجازة السلطات الاستعمارية إلا بعد الإضراب الكبير في معامل الشالجية عام ١٩٢٧ والذي أحدث تحولا في موقف الحكومة ، وتم إجـازة أول منظمة عمالية في عام ١٩٢٩ تحت اسم (جمعية أصحاب المهن والصنائع العراقية)، وكان أغلب منتسبيها من عمال السكك ، إضافة الى أعداد من الكسبة والحرفيين .

بعد عدم ارتياح السلطات لعمل هذه الجمعية ، تم إغلاقها وسحب إجازتها ، ولكن العمال وبقيادة المرحوم (محمد صالح القـزاز) أسسوا (نقابة إتحاد العمال العراقية)، وشجعت هذه الخطوة تكوين الجمعيات لمهن عديدة ، وتطور عملهم بإنشاء " المجلس الأعلى لنقابة إتحاد العمال وأرباب المهن ") .

وساهم القزاز في حشد العمال بمظاهرات صاخبة كانت تجوب بغداد قبل إن تنتقل الى بقية مدن العراق ، مؤيدا انقلاب الفريق بكر صدقي وحكومة حكمت سليمان في عام ١٩٣٦ ،وقد وقف معه شاعر العرب (محمد مهدي الجواهري) الذي أصدر صحيفة دعاها (الانقلاب) تيمنا بهذا الانقلاب الأول.

ومما يكشف تعلق القـزاز بالجماهير وإخلاصه لمبادئه ، فإنه لم يقف عند حشد المظاهرات، والتي كان قائدها الميداني ،و لايكتفي بتأييد سلطة الانقلاب ، وإنما حمل تطلعات الجماهير ورغبتها في تحسين الوضع العام وتجاوز الخلافات وبـنـاء مـجـتـمـع جـديـد ، ومـن أهـم تلك المطالب :

١ – إطلاق حرية الصحافة
٢ – إصدار عفو عام عن المسجونين
٣– العمل على ضمان الحقوق الأساسية للمواطنين
٤– رفع المستوى المعاشي للشعب
٥– إطلاق حرية التنظيم الشعبي

ومن تتبع السيرة الذاتية للقزاز يمكن القول انه أحد أبرز القادة العماليين الذين عرفتهم الحركة العمالية عموما والنقابية على وجـه الخصوص في العراق ، لم تمنعه متابعة مشاكل العمال والتحضير للإضراب ومواجهة المحاكم والسلطات القمعية ،من العمل على إنشاء مراكز للتجمعات العمالية لتسهيل مهمة اللقاء بمجاميع كبيرة منهم ، والبحث عن وسائل الترفيه عنهم ،ففي عام ١٩٣٧ تقدم بمعاونة الماركسي المعروف والصحفي البارز (يوسف متي) فضلا عن نوري روفائيل وجميل توما ، للحصول على إجازة نادٍ رياضي باسم

نادي السكك ، الذي أجيز فعلا ، واتخذ من مقر مؤسسة السكك التابعة لوزرة النقل والمواصلات حاليا مقرا له ، وكانت المؤسسة تقع في جانب الكرخ وعلى ذات الموقع الذي يشغله فندق الرشيد اليوم والذي تحول اسمه الى نادي المواصلات ، ثم الى نادي النقل وأخيرا استقر على اسم (نادي الزوراء) الذي يعد واحدا من أبرز نـوادي الدرجة الأولى في العراق اليوم.

وقد تسبب وجود قيادة ماركسية التوجه على رأس النـادي الى انتشار إشاعة مفادها أن نادي السكك واحد من مقرات الحزب الشيوعي العراقي ، في حينه

مجلة الصنائع
صدرت في 19 حزيران 1930

عيد العمال العالمي

الاضرابات والمظاهرات والاعتصامات التي خاضها العمال العراقيون لنيل حقوقهم

كان من الطبيعي ان تبرز الحركة العمالية في العراق وبقوة بسبب تعنت السلطات الحكومية وأصحاب رأس المال للشركات الاحتكارية وعدم استجابتهم لمطالب العمال المشروعة في زيادة الأجور حيث كان يعيش اغلب العمال في حال دون مستوى الفقر والكفاف وطول ساعات العمل المضنية في الإعمال الشاقة مما بلور لدى العمال ضرورة المطالبة بزيادة الأجور وبما يتناسب مع توفير الحد الأدنى من العيش كالمأكل والملبس والصحة للعمال وعوائلهم ناهيك عن التربية والتعليم.ومطالبتهم بثماني ساعات عمل وعدم استغلال المرأة العاملة والأحداث في الإعمال الشاقة والصعبة والخطرة ((وكان أول شهيد عمالي عام ١٩٢٠ في ٢٤ -٥-١٩٢٠ وهو نجار اخرس في بغداد شيعته الجماهير في اليوم الثاني ومنحته لقب شهيد الوطن) .
وفي خضم هذا الكفاح فقد خاض العمال في باكورة نشاطهم المنظم بقيادة محمد صالح القزاز إضرابين لعمال السكك حيث اندلعت في (١٩٣٠-١٩٣١) حوالي(١٠٠٠)عامل في معامل السكك الحديدية في بغداد في ٣-١٢- ١٩٣٠ واستمر الإضراب ثلاثة أيام بسبب تقليل الأجور بنسبة ٦-١٠٪ وانتهى بانتصار جزئي للعمال.
في نهاية شباط ١٩٣١ أعلن (١٢٠٠) عامل من عمال السكك في بغداد في ٥-٧-١٩٣١ وبعد عشرة أيام عم الإضراب بدا في ١٥-٧-١٩٣١ واستمر حتى ١٩-٧-١٩٣١. حيث قامت مظاهرة جماهيرية في بغداد وكذلك في البصرة فقد كانت المظاهرة في البصرة اكبر وتحولت الى صدامات دموية مع الشرطة.
قام اتحاد عمال الميكانيك بقيادة القزاز بعد ان تحررت من الموظفين الكبار اللذين انضموا بأمر الحكومة من اجل إفسادها وكان ذلك في عام ١٩٣٢ وقد جمعت هذه المنظمة حولها العمال النشيطين والمستخدمين وقد وجد القزاز صلة مع حزب العمال البريطاني وكذلك مع قادة النقابات الإصلاحية في ألمانيا).
٥-١١-١٩٣٣ مقاطعة الكهرباء وقد شملت المقاطعة كل مدينة بغداد وقد لعب القزاز ورفاقه العمال النشيطون في منظمة عمال الميكانيك دورا بارزا مما أدى الى اعتقاله وستة من رفاقه بعد مرور (٢٠)يوما من المقاطعة وذلك في ٥٢-١١-١٩٣٣ وأرسلوا الى المنطقة الكردية ومنع نشاط الاتحاد وبعد فترة من اعتقالهم وتحت ضغط العمال اضطرت السلطات الى إطلاق سراحهم) (٢٨).
كان أول إضراب كبير نظم للعمال في بغداد وهو إضراب عمال السكك في الشالجية سنة ١٩٢٧ وكان هذا الإضراب الناجح باكورة الحركة النقابية العمالية البروليتارية في العراق.
تأسست أول نقابة عمالية في العراق بعد سنتين من الإضراب أي في ١٩٢٩ وكانت النقابة بعد ذلك الإضراب واهم ثمراته)
-اتصال العمال في وقت مبكر فقد اتصلوا بمكتب العمل أ لدولي .
-في يوم ٥ تموز ١٩٣١ أصبحت بغداد معطلة تماما فقد أعلن الإضراب العام ولم يستثنى منه سوى موظفي الحكومة).
(وتوسع الإضراب ومعارك الشوارع بين قوات الحكومة المسلحة وبين الجماهير العزلى فشل جميع مدن وقرى العراق وسقط عدد كبير من القتلى والجرحى وتميز الإضراب في المنطقة الجنوبية بالسلمة والتنظيم وقوبل بأقسى أشكال إلارهاب وخاصة في يوم ١٦ تموز حيث سقط عدد كبير من القتلى والجرحى..وكان من ابرز قادة الإضراب في هذه المنطقة يوسف سلمان يوسف (فهد) وحسن عياش وعبد الجبار حسون.))
قامت نقابات العمال والحرفين والكسبه في بغداد بمقاطعة شركة الكهرباء الاستعمارية في بغداد مطالبين بتخفيض سعر الوحدة الكهربائية الباهظة على المستهلكين وقد قاد هذه الحملة مجلس نقابات اتحاد العمال في بغداد برئاسة محمد صالح القزاز ولم تتورع الحكومة عن أي عمل لكسر حملة المقاطعة فشنت حملة إرهابية على النقابيين وقيادات العمال وزجهم في السجون وأثارت المعابد والمحلات بالأضواء الساطعة بإسراف وبدون مناسبة .... وانتقاما لشركة الكهرباء الاستعمارية قضت الحكومة على جميع منظمات العمال والكادحين في ٢ كانون الثاني ١٩٣٤)
-إضراب عمال النفط في كركوك منذ أول تموز ١٩٤٦ واستمر ١٣ يوما. كان العمال وتحيطهم جماهير كركوك يجتمعون يوميا فيخطبون بالكردية والتركية والعربية وآخرون بالأثورية والارمنية ولكن هناك شيء كان يجمع العمال على اختلاف لغاتهم وقومياتهم وهو أنهم عمال)
- انتفاضة ١٩٤٨ كانت في بغداد يوم ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٨ على فوهة بركان فقد أعلن العمال الإضراب السياسي فوضعوا الحد الفاصل في سير الوثبة وقررت لجنة طلاب الكليات والمعاهد وكذلك لجنة التعاون الوطني التظاهر ..فلما كان اليوم التالي ((الثلاثاء) ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٨ أصبحت بغداد ساحة حرب).)
أصبح نضال العمال محور النضال الوطني والديمقراطي في القطر بصورة ملحوظة من الجميع بحيث ان نوري السعيد لمح إليه في مجلس النواب.
- إضراب عمال النفط في عين زالة لمدة عشرة أيام وفاز العمال بمطالبهم عدا مطلبهم الرئيسي :النقابة.
-٤ نيسان إضراب عمال السفن والكهرباء وإسالة الماء وعمال الأرصفة أي أصبح الإضراب شاملا جميع عمال الميناء في البصرة وانتهى الإضراب نفس اليوم بعد تلبية جميع المطالب لأنه كان يمتاز بالتنظيم والشمول.
٢٣نيسان ١٩٤٨ اضرب في حديثة والمحطات الأخرى نحو(٧٠٠) عامل في حديثة و(كي٣) وكان المطلب الرئيسي هو الاعتراف بحق التنظيم النقابي.
وكان من ابرز مظاهرها هو مساندة الفلاحين وجميع الكادحين من سكنة حديثة وقراها لإخوانهم العمال المضربين ماديا ومعنويا فقدر فض باعة الخبز ان يستلموا من العمال ثمن خبزهم)
- تحرك من حديثة في الصباح الباكر في اليوم الحادي والعشرين من الإضراب المصادف ١٣-٥- ١٩٤٨ في طريقهم الى بغداد وقد قاوم العمال السير الشاق والعطش والجوع ببسالة جديرة بهم وحملوا رفاقهم المتعبين على أكتافهم .
انتهت المسيرة في يوم ١٥-٥-١٩٤٨ عندما بلغ العمال الفلوجة وبعد مسيرة ثلاثة أيام منهكة حيث أعلنت الإحكام العرفية ، فقد أوقفت الشرطة المسيرة واعتقلت قادة الإضراب ومنظميه وبعد ثلاثة أيام انتهى أطول إضراب قام به عمال العراق)
ويوم بعد يوم أخذت تشتد الاجراَت القمعية ضد الشعب بقصد تصفية المكاسب الديمقراطية لوثبة كانون وكسر المعنويات الجماهيرية لغرض فرض المعاهدة الاسترقاقية التي رفضها الشعب)
- إضراب عمال بواخر الحفر في أواخر سنة ١٩٤٩ حيث اضرب أكثر من ٦٠٠ عامل لمدة ثلاثة أيام ونال العمال مطالبهم.
-إضراب شركة النفط في البصرة في شباط ١٩٥٠ حيث اضرب في أب ١٩٥٠ ٣٥٠ عاملا في شركة كري مكنزي في البصرة(الدوكيارد) لمدة تسعة أيام وفالعمل بالقطعة.
إضراب عمال شركة الغزل والنسيج العراقية في بغداد ودام الإضراب ١٢ يوما واستطاع العمال فرض نقابتهم في التفاوض عنهم وفازوا بإلغاء نظام العمل بالقطعة مع زيادة ((٥٠)فلسا في الأجور اليومية فقامت الحكومة بإحراق مقر النقابة انتقاما منهم
- في شباط ١٩٥١ اضرب (٢٠٠٠) عامل في شركة نفط البصرة لمدة (١٣) يوما وفازت ببعض مطالبهم كما اضرب في بغداد عمال النسيج في معامل فتاح باشا وصالح إبراهيم في الكاظمية وإلا عظمية لمدة(٣) أيام وفازوا بإلغاء قرار فصل (٣٠٠) عامل وزيادة الأجور.
-في نيسان ١٩٥١ اضرب (٤٠٠) عامل نسيج في المعامل اليدوية في النجف
-١٤ تشرين الثاني ١٩٥١ إعلان الإضراب العام تأيدا للشعب المصري في نضاله الوطني
اضرب جميع عمال النسيج الآلي واليدوي وجميع عمال السكاير في بغداد كما اضرب عمال شركة كري مكنزي والميكانيك في البصرة تلبية لنداء مكتب النقابات الدائم.
-١٠ كانون -١٩٥٢ أغلق المكتب الدائم لمجلس النقابات العمال.
-حزيران ١٩٥٢ قاد الشيوعيون إضراب العمال العراقيين في قاعدة الحبانية الحربية وقتل في هذه المجزرة عامل عراقي وجرح عدد كبير من العمال وإبعاد ٤ عمال من العراق).
- حزيران ١٩٥٢ اضرب (٩٠٠٩ عامل لمدة ثلاثة أيام في القاعدة البريطانية(الشعيبة) في المعقل في لواء البصرة .
-٢٣-أب-١٩٥٢ اضرب (٣٠٠٠) عامل في الميناء (المعقل) لمدة ثلاثة أيام مطالبين بزيادة الأجور وإيقاف الفصل الكيفي والانتهاكات وتحسين شروط العمل ولكن السلطات الرجعية وأجهزتها القمعية أقامت مجزرة وحشية في اليوم الثاني قتل فيها (٣)عمال وجرح ثلاثة آخرون.
ساندت جماهير البصرة المسيرة وكذلك ساندها الحزب الشيوعي العراقي في بغداد، حقق العمال مطالبهم ما عدا النقابة).
شباط ١٩٥٢ اضرب ألف عامل في الفاو ولمدة ثلاثة أيام فازوا بزيادة أجورهم ورفض طلبهم بالعمل نصف دوام يوم الخميس.
-١٩٥٢ اضرب ٦٠٠ عامل في شركة الدخان الأهلية
-٢٢-٢٤ تشرين الثاني ١٩٥٢ الاضراب تحقيق مطالبي العمال المضربين.
- إضراب عمال مصلحة نقل الركاب وعددهم (٣٠٠) لمدة أربعة أيام وأعلنوا تاييدهم لعمال نفط البصرة المضربين كما قدموا مطالبيهم وفازوا بها.
-إضراب أكثر من (٢٠٠) عامل من شركة تاجريان الهندسية في البصرة تأيدا لعمال النفط وفازا بمطالبهم الخاصة .
- إضراب عمال الكوكا كولا لمدة يومين.
- إضراب عمال شركة التجارة والمقاولات (البر زون) في البصرة ليومين أيضا أيضا إضراب عمال شركة هولواي لأربعة أيام متوالية لعمال النفط.
- ١٦ كانون الأول ١٩٥٣ إضراب عمال السكاير واحتل المرتبة الثانية بعد إضراب عمال السكك..
-في ١٦ كانون الأول وهو اليوم الحادي عشر من الإضراب هاجمت الشرطة المعامل بالسلاح وأخرجت العمال المعتصمين بعد ان جرحت عدد منهم واعتقلت عشرات العمال وأغلقت المعامل كما احتلت مقر نقابة عمال السكاير).
١٦-أب- اضرب عمال مطالبين بفتح نقابتهم وزيادة أجورهم وانتهى الإضراب بعد منتصف الليل بعد تعهد الوزير بوعوده عاد العمال الى الإضراب بعد يومين واعتصموا في معاملهم وطوقتهم الشرطة وقطعت عنهم الماء والكهرباء والطعام وبذلت الجماهير كل ما في وسعها لمساعدة العمال المحاصرين وبعد يومين فقط فازوا بمطالبهم)
- ١٤ أيلول ١٩٥٣اضرب عمال السكاير إضرابا عاما ودام الإضراب خمسة أيام وقد طوقتهم الشرطة وقطعت الماء والطعام عنهم-وقد فاز العمال بمطالبهم ماعدا النقابة.
-٢٤ أيلول اضرب عمال شركة جعفر ليوم واحد ثم عادوا الإضراب بعد أربعة أيام احتجاجا على اعتداءات الشقاة على النقابيين.
لقد تطور وعي العمال النقابيين وأساليب نضالهم الى هذا الحد بحيث لم يبق أمام الحكومة وأصحاب المعامل سوى احتلال المعامل ومقرات النقابات بقوة السلاح)
-إضراب عمال مطبعة الرابطة في ٢٥-٤-١٩٥٥ مطالبين بزيادة أجورهم وقد اضرب في نفس اليوم عمال قسم النساجين في شركة صناعة الجوت مطالبين بزيادة أجورهم.
-٢١-٤-١٩٥٥ اضرب عمال القاعدة الحربية في البصرة (الشعيبة) عن العمل مطالبين بإعطائهم (المنحة) أسوة ببقية العمال ولكن القائد الانكليزي صدهم قائلا(سأحرق بيوتكم إذا لم ترجعوا الى أعمالكم وتنهوا الإضراب)) إما الشرطة التي بدلا من تخرس المستعمر وترد كرامة أمتها الوطنية هجمت على العمال واعتقلت العشرات منهم وانتهى الإضراب بعد ثلاثة أيام دون ان يحصل العمال على مطالبهم كما فشل إضراب عمال البيبسي كولا الذي أعلن في نهاية نيسان ١٩٥٥) .
- إضراب عمال شراكة (دورمن) الانكليزية المتعهدة ببناء جسر الهندية الحديدي.
-الأول من تشرين الأول ١٩٥٥ اضرب العمال الجص في عكركوف من اجل زيادة أجورهم.
-٢٤-٣-١٩٥٧ اضرب (٤٥٠) عاملا فنيا في معمل نسيج الوصي احتجاجا علي تخفيض أجورهم.
- إضراب عمال الكونكريت في شركة المنصور التي كانت تقوم بإنشاء معمل الأسمنت في السماوة وتستخدم(٧٠٠) عامل.
-٢٠-٤-١٩٥٧ اضرب عمال الزراعيون في المزارع الحكومية ((النموذجية)) في حقول ابو غريب.
-٨-٥-١٩٥٧ اضرب ٦٠٠ عامل في شركة الغزل والنسيج العائدة للوصي.
-إضراب عمال (البلوكات) في شركة(زيلن) في تكريت.
-إضراب عمال معمل الطابوق العائد الى عبد الحميد عريم في الرمادي.))
- تصدي العمال في اغلب محافظات العراق للانقلاب الفاشي في ٨ شباط ١٩٦٣)).
-إضراب عمال الزيوت المشهور عام ١٩٦٨ والذي تم قمعه بقسوة بالغة من قبل السلطات آنذاك.))

من خلال نظرة فاحصة لعدد الإضرابات وإلا عتصامات والمظاهرات يمكننا ان نستنتج مدى حيوية وفاعلية الطبقة العاملة العراقية ووعيها المتقدم للدفاع عن كرامتها الوطنية وحقوقها الطبقية ومدى الترابط بينهما فوقفت بحزم ضد كل مظاهر الاستغلال وبقايا الهيمنة الاستعمارية والاستغلال وقدمت الشهداء من اجل ذلك واستطاعت ان تجبر قوى الظلم والسلطات الاستبدادية وذيول الرأسمال العالمي على الإقرار بالعديد من مطالبها ومنع مخططاتها الاستعمارية في العراق ونهب ثرواته وخصوصا النفط.

ومن خلال نظرة فاحصة لعدد الإضرابات وإلا عتصامات والمظاهرات يمكننا ان نستنتج مدى حيوية وفاعلية الطبقة العاملة العراقية ووعيها المتقدم للدفاع عن كرامتها الوطنية وحقوقها الطبقية ومدى الترابط بينهما فوقفت بحزم ضد كل مظاهر الاستغلال وبقايا الهيمنة الاستعمارية والاستغلال وقدمت الشهداء من اجل ذلك واستطاعت ان تجبر قوى الظلم والسلطات الاستبدادية وذيول الرأسمال العالمي على الإقرار بالعديد من مطالبها ومنع مخططاتها الاستعمارية في العراق ونهب ثرواته وخصوصا النفط.
ثانيا: يتضح لنا خمود جذوة وأحيانا أنطفاء حماس العمال في العهود الجمهورية المتلاحقة لا بسبب تحقيق العمال لطموحاتهم ومكانتهم المطلوبة في مصير البلاد ولكن بسبب الأساليب التعسفية والإجرامية بالغة القسوة التي تعرض لها الشعب بكافة طبقاته ومكوناته وخصوصا في عهد الحكم الديكتاتوري الصدامي البغثي طوال أربعين عاما متواصلة مما جعل الناس ومنهم العمال تترحم على العهد الملكي لأنه أهون شرا وأيسر أمرا واخف قهرا وتعسفا من العهد الجمهوري ((الديمقراطي الشعبي)) و((الاشتراكي الثوري)).

عيد العمال العالمي

تاريخ الحركة العمالية في العراق

أ.د .إبراهيم خليل العلاف
أستاذ التاريخ الحديث-جامعة الموصل

ارتبطت الحركة العمالية في العراق ،بالتطورات التي حدثت من منذ أواخر القرن التاسع عشر ،ولاسيما فيما يتعلق بالإصلاحات العثمانية وحركة التحديث التي ابتدأت في الدولة العثمانية والولايات العراقية التابعة لها ومدى تأثير تلك الإصلاحات وخاصة في مجال إصلاح نظام الأراضي ، وتطبيق قانون الولايات وتغلغل رأس المال الأجنبي وإنشاء البنوك وظهور طبقة وسطى أخذت تبحث لها عن دور سياسي ،واختلال العلاقة في المجتمع العراقي بعد تملك شيوخ العشائر والملاكين الغائبين للأراضي وتغير العلاقة بين الشيخ وأفراد عشيرته في الديرة .

ومما زاد في حدة العلاقة وتغيرها حدوث الثورة الدستورية في ٢٤ تموز ١٩٠٨ وسقوط نظام حكم السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩ وتنامي الشعور القومي ،وتأسيس أحزاب وجمعيات تنادي بالاستقلال وتشكيل دول قومية. وكان للحرب العالمية الأولى ودخول الدولة العثمانية للحرب إلى جانب الألمان والدول الوسطى ضد بريطانيا وحليفاتها أثر كبير في سقوط الدولة العثمانية واحتلال بريطانيا لولاية البصرة ١٩١٤ ولولاية بغداد ١٩١٧ ولولاية الموصل ١٩١٨ وظهور العراق دولة حديثة مؤلفة من الولايات الثلاث وتأسيس الجيش العراقي ومبايعة الأمير فيصل بن الشريف حسين ملكا على العراق في آب ١٩٢١ واجراء انتخابات المجلس التأسيسي (البرلمان) ، وتنامي الحركة الوطنية وتطور الصحافة وصدور قانون لتنظيم الصحافة وتطور الزراعة والتجارة وانقسام المجتمع إلى ثلاث طبقات الأولى ثرية والثانية متوسطة والثالثة فقيرة .

لقد كان للتغيرات التي شهدها المجتمع العراقي وخاصة بعد اندماج الاقتصاد العراقي بالاقتصاد الرأسمالي منذ أواخر القرن التاسع عشر واتساع حركة الاستيراد والتصدير وغزو السلع والبضائع الأوربية للسوق العراقية اثر كبير في تغير طبيعة الاقتصاد العراقي من اقتصاد طبيعي يعتمد على الإنتاج لسد الحاجة المحلية إلى اقتصاد السوق الذي يعتمد الربح .

وقد أسهمت في أحداث كل تلك التغيرات عوامل داخلية وأخرى خارجية .فبعد افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ برزت ظاهرة نشوء واتساع تجارة التصدير إلى أوربا وكانت صادرات العراق تتمثل بالحبوب والصوف والجلود والحيوانات الحية ومنها الخيول والمواشي واتجه التجار الأوربيون إلى الاستثمار في العراق وخاصة في مجال البنوك وجعل العراق كله منتجا للخامات وسوقا لمصنوعاتهم . وكان لنمو تجارة التصدير اثر كبير في نشور طبقة وسطى عراقية اقرب ما تكون الى الطبقة البرجوازية وكانت شريحة المثقفين من ضمنها تدعو إلى اجراء تغيير البنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .فضلا عن المطالب المشروعة في تعزيز حركة الاستقلال وإفساح المجال للفئات والشرائح المحرومة لكي تنال حقوقها ، وتعبر عن تطلعاتها .

لذلك لم يكن غريبا أن يضطلع البرجوازيون، وخاصة المؤمنين منهم بالفكر اليساري ، بتبني مطالب العمال والحرفيين الذين حاولوا ان ينظموا أنفسهم في جمعيات وأحزاب تعمل من اجل وحدتهم وتطالب بحقوقهم وخاصة حقهم في الحرية والتنظيم النقابي وإصدار قوانين وتشريعات تحمي مصالحهم وتؤمن مستقبلهم في صنع القرار السياسي لبلادهم .

لقد شهد العراق منذ أواخر القرن التاسع عشر ،وبدء انفتاح الاقتصاد العثماني على السوق الرأسمالية الاوربية نتيجة حركة الإصلاحات العثمانية في مجالات الأرض(قانون الطابو) والنقل والصناعة تأسيس معامل صغيرة للثلج والنسيج والطابوق .هذا فضلا عن المعامل التي أنشأها الجيش ومعامل السكك الحديد في الشالجية ومعامل خاصة انشأها القطاع الخاص هنا وهناك من المدن العراقية وخاصة الكبرى منها بغداد والموصل والبصرة .ولعل مما قام به بعض اهالي البصرة قبل الحرب العالمية الأولى وقف مثالا على ذلك .ونقصد إنشاء معامل للدباغة الحديثة ومعمل لحزم عروق السوس بقصد التصدير .كما تأسست شركة لتجارة المراكب وأخرى للنقل في البصرة حوالي سنة ١٨٩٦ .وفي ١٩٠٨ دخلت السيارات العراق فتطورت اطرق المواصلات ونمت المدن واتسعت اطرافها ، وتأسست شركات لنقل البضائع والمسافرين .كما تأسست مطابع حديثة في الموصل وبغداد والبصرة وعندما قامت الحرب العالمية الأولى كان في العراق بضعة عشر مطبعة حديثة ملحقة بها مسابك وصقل وتجليد وتهذيب يعمل فيها عدد لابأس به من العمال .وسرعان ما وجدت المكائن الحديثة طريقها إلى المدن العراقية ومن هذه المعامل معامل للثلج ومطاحن حديثة ومعامل لصنع المياه الغازية ومعامل للنسيج ومعامل لصنع الطابوق لكن الإنتاج الحرفي ظل يؤلف القاعدة الرئيسة للصناعة الوطنية في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى . ومن هنا فقد انتظم الحرفيون واصحاب المهن في تنظيمات مهنية ترجع بجذورها الى العصور الوسطى الإسلامية تعرف بالاصناف ومنها صنف الخشابين وصنف الصاغة وصنف العلافين وصنف السراجين .

ونستطيع اعتمادا على ماكتبه الاستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد في كتابه الموسوم : "الطبقة العاملة العراقية :التكون وبدايات التحرك" المنشور سنة ١٩٨١ ان نلخص الميادين التي تشكلت من خلالها الطبقة العاملة العراقية بثلاث هي : المعامل الحكومية والعسكرية ومنها معامل الحدادة في الدميرخانة بالكرخ ومعامل النقل النهري والمعامل التي رافقت إنشاء بعض السدود ومنها سدة الهندية هذا المشروع الذي افتتح في ١٢ كانون الاول –ديسمبر ١٩١٣ واشتغل فيه عمالا كثيرين تراوح عددهم بين الألف والثلاثة آلاف عامل في الأعمال الترابية وحدها وحوالي ألف عامل في صناعة الآجر الذي يتطلبه المشروع . والمعامل الأهلية والمعامل الأجنبية وخاصة المتعلقة بالنقل النهري كشركة بيت اللنج المعروفة التي يرجع تأسيسها إلى سنة ١٨٤٠ .

وخلال الحرب العالمية الأولى عانى العمال من شظف العيش ولم يكن هناك تحديد لساعات العمل وكان النساء والأطفال يشاركون الآباء العمال العراقيين الدائميين والموسميين في تلك الفترة بعشرات الألوف لذلك أصبح لهم وزن كمي في تركيبة المجتمع العراقي .ويقينا أن العمال كشريحة اجتماعية تأثرت بالاحتلال البريطاني ولم يقصر المحتلون في استغلال العمال العراقيين أبشع استغلال حتى كان على العامل ان يوقع تعهدا يؤكد فيه انه لايمانع في تعرضه إلى القانون العسكري اعتبارا من تاريخ استخدامه في مشاريع المحتلين وخاصة في السكك الحديد والحدادة والتنظيف وقيادة السيارات وصناعة الطابوق والقوارب وقد كانت الأجور متدنية ولم يمنع هذا العمال من أن يكون لديهم حس وطني معاد للانكليز وتشير الوثائق المتداولة عن تحركات معادية للاحتلال في البصرة من قبل عمال الميناء سنة ١٩١٦ ومن عمال في العمارة زاد عددهم عن ٤٥٠ عاملا تركوا العمل وقامت سلطات الاحتلال بفتح النار عليهم وأودع عشرات منهم في السجن العامة لتنتخب قيادة للجمعية على النحو التالي :

١.محمد صالح عبد الجبار القزاز رئيسا
٢.احمد السيد محمد عامل بالسكك نائبا للرئيس
٣.محمد مصطفى ملاحظ في المعمل العسكري سكرتيرا
٤.نعيم فتوحي ميكانيكي في السكك أمينا للصندوق
٥.يوسف السيد طه عامل ميكانيك بالسكك مراقبا عاما
٦.عبد الجبار سلمان ميكانيكي بالمعمل العسكري عضوا مساعدا
٧. محيي الدين محمد عامل بالسكك عضوا مساعدا

واتخذت الجمعية سينما رويال مقرا مؤقتا لها ثم صار لها مقرا خاصا في الحيدرخانة فيما بعد .

كان للجمعية نظام داخلي مؤلف من ٩ فصول و٣٩ مادة .وقد حدد النظام اهداف الجمعية واكد ابتعادها عن العمل السياسي اليومي وان لاحظ للجمعية بالدين وان غايتها الوحيدة " تهذيب أصحاب الصنائع من الوجهة الأخلاقية والصناعية والاجتماعية ونشر مبادئ الآداب الفاضلة بين أفرادها" .وقد تخطت الجمعية حدود النظام وانحازت للوطن وأكدت على لسان مؤسسيها وخاصة القزاز ان غايتها الحقيقية " الدفاع عن حقوق العمال والكفاح دون مطالبهم وصيانة مصالحهم من كل عابث ..." .وقد قامت الجمعية بدور مهم في تطوير الحركة العمالية في العراق وكان القسم الأكبر من قاعدتها مؤلف من عمال السكك الذين كانوا يعانون من مشاكل كبيرة أسوة بعمال المصانع .

لم تكن جمعية الصنائع وحدها في الميدان وإنما تأسست جمعيات مماثلة منها جمعية تعاون الحلاقين ١٩٢٩ وجمعية عمال المطابع العراقية ١٩٣٠ وجمعية عمال الميكانيك ١٩٣٠ .وكانت هذه الجمعيات اقرب إلى الأصناف المهنية منها إلى الجمعيات العمالية الصرف .

ومن الأمور الملفتة للنظر أن للحركة العمالية صحافتها .ففي ٢٩ حزيران ١٩٢٩ صدرت ببغداد مجلة جمعية اصحاب الصنائع وبأسم مجلة الصنائع .أما في الموصل فظهرت لدى بعض المثقفين وأبرزهم المحامي احمد سعد الدين زيادة فكرة تأسيس حزب للعمال لكن السلطات رفضت فأقدم زيادة في الخامس من ايلول١٩٣١ إلى إصدار جريدة بأسم العمال في الموصل . وفي ٨ ايلول ١٩٣٠صدرت جريدة العامل ببغداد ، وجعلت شعارها : " ياعمال العالم اتحدوا " .وكان صاحبها عبد المجيد حسن وكان عاملا في مطبعة أهلية .

لقد استقطبت الحركة العمالية انتباه الماركسيين الأوائل كما يقول الأستاذ الدكتور عبد اللطيف الراوي في حوار معه أجرته قبل رحيله جريدة طريق الشعب في أيلول ١٩٧٥ خاصة بعد توسع القاعدة العمالية في المشاريع الكبرى وهي ميناء البصرة والسكك الحديد والمشاريع النفطية بعد سنة ١٩٠٢٧ وكانت قضاياهم المعيشية وعمليات الاستغلال الواقعة عليهم من الشركات الأجنبية والمحلية في دائرة معالجاتهم ،أي في الصحافة أو في المجالس الخاصة بهم وقد ساندوا في مقالاتهم ونتاجاتهم الأدبية وخاصة القصة والشعر والرواية الحركة العمالية حتى أنهم أسهموا فيها بشكل مباشر ونذكر من هؤلاء المثقفين القاص محمود احمد السيد والقاص ذو النون ايوب .

لقد تنامت الحركة العمالية في أوائل الثلاثينات من القرن الماضي وحققت انتصارات مهمة في الإضرابات وفي إنشاء النقابات وتوحيد صفوف العمال غير أن هذه الحركة النشطة كانت تعمل في ظروف صعبة وقد تعرض عدد من القادة النقابيين للطرد من أعمالهم أو السجن أو النفي إلى أماكن نائية من العراق .

. ومن الغريب أن يتعاون ملاكوا المدن مع المحتلين في قمع العمال ومساعدة السلطات المحتلة على إعادة من تبقى من العمال إلى العمل قسرا .

ومن الطبيعي أن تساعد كل تلك الظروف العمال العراقيين على إدراك واقعهم ،والإحساس بحاجتهم إلى التكتل والمطالبة بحقوقهم وتلك مرحلة مهمة من مراحل تاريخ الحركة العمالية العراقية .

بعد تشكيل الدولة العراقية سنة ١٩٢١ شهد العراق نهضة وطنية باتجاه الدعوة إلى تطوير الصناعة والزراعة وتشجيع التعليم وتنمية الحس الوطني والقومي . ولم يكن العمال بعيدين عن تلك النهضة فأبدأوا – وبالتعاون مع المثقفين من ذوي الاتجاهات اليسارية – يطالبون بحقوقهم وقد كانت البداية مطالبتهم بتأسيس ناد للعمال .ويقينا ان تأسست عوامل أساسهت في نضوج الشروط اللازمة لدفع العامل العراقي إلى التحرك ويأتي الوضع الاقتصادي الصعب والمتردي في المقدمة إلى جانب التطور الذي شهدته الحركة الوطنية العراقية وتبلور توجهاتها المعادية للاستعمار وما كان يسعمه العمال من اخبار عن تحركات العمال في بعض البلدان ومنها مصر وتركيا وإيران واليونان .ومن المفارقات ان الحكومة رفضت طلب تأسيس ناد للعمال العراقيين تقدم به كل من محمد صالح القزاز ، ومحيي الدين محمد ، وقاسم عباس ، وهم عمال يعملون في السكك والمعمل العسكري في أواخر سنة ١٩٢٤ ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أقدمت دائرة السكك على نقل احد مقدمي الطلب الى خارج دائرة السكك . كما أوقفت ما يستحقه الآخر من زيادة ،علما أن العمال الأجانب كانت لديهم نواد خاصة بهم .ولم يفت هذا في عضد مقدمي الطلب وإنما تقدموا في مطلع سنة ١٩٢٩ بطلب تأسيس جمعية بأسم : "جمعية أصحاب الصنائع" وقد اضطرت وزارة الداخلية إلى إجازتها في الأول من تموز سنة ١٩٢٩ وفي ٢٦ تموز ١٩٢٩ اجتمعت الهيئة

مع تطور وسائل الإنتاج تطورت الطبقة العاملة العراقية وازدادت أعدادها.ومع تطور صناعة النفط ونشوء بعض الصناعات الأهلية والحكومية، وغيرها من العوامل، التي وفرت مجالات رحبة لتطورها من جهة والى تشغيل قوى عاملة جديدة من جهة أخرى، موفرة مجالات واسعة، وحاجات كبيرة للأيدي العاملة الدائمية، ومحدثة تغييرات ملحوظة في تركيب المجتمع العراقي.

الايعاز الى حكومة نوري السعيد بأغاء الرسوم وتخفيض الجانب الاكبر من الضرائب الواردةفي قانون رسو البلديات .كما لجأت الحكومة الى اصدار قرارات توحي باهتمامها بشؤون العمال وخاصة القصابون والخبازون والبقالون وفي سنة ١٩٣٢ احتج عمال شركة باتا للاحذية وعددهم مع اسرهم يربو على ال٤٠٠٠ وطالبوا بتحسين وضعهم .

وقعت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ -١٩٤٥ فأسهمت ظروفها وانعكاساتها في تنمية وعي الطبقة العاملة العراقية وتزايد حجمها وبقدر تزايد دور الطبقة البرجوازية واتجاه عدد من الفلاحين من الريف نحو المدينة وخضوعهم للظروف الاجتماعية الصعبة التي كان يعيشها سكان المدن أنفسهم .وليس من شك في ان معظم هؤلاء التحقوا بالطبقة العملة وخاصة في حقل البناء والإنشاءات .ومع تطور وسائل الإنتاج تطورت الطبقة العاملة العراقية وازدادت أعدادها. ومع تطور صناعة النفط ونشوء بعض الصناعات الأهلية والحكومية، وغيرها من العوامل، التي وفرت مجالات رحبة لتطورها من جهة والى تشغيل قوى عاملة جديدة من جهة أخرى، موفرة مجالات واسعة، وحاجات كبيرة للأيدي العاملة الدائمية، ومحدثة تغييرات ملحوظة في تركيب المجتمع العراقي ويذكر الدكتور كاظم الموسوي في دراسة له بعنوان : " الطبقة العاملة العراقية ووضعها الاقتصادي والاجتماعي إلى أن إحصاءات سكان العراق أشرت بأن سكان المدن أصبحوا حسب إحصاء ١٩٤٧ يشكلون ما نسبته ٤١ ٪من مجموع سكان العراق البالغ عددهم حوالي ٤،٨ مليون نسمة . ومن المؤكد –كما سبق ان قدمنا –ان الزيادة الاحتمال حدثت إضرابات كثيرة منها إضراب في العمارة سنة ١٩١٧ وقد قامت سلطات الاحتلال بفتح النار عليهم .

وفي ١٩١٨ اضرب عمال البناء في النجف، وفي اليوم الثالث من كانون الاول ١٩٣٠ اضرب عمال السكك وعددهم قرابة الـ١٠٠٠ عامل ورفعوا عريضة بمطالبهم وأبرزها تحديد اجورهم بما يستحقون ومنحهم أجورا خلال ايام العطل الرسمية وإلغاء الاستقطاعات عن أجورهم ووضع حد لتصرفات مسؤولي السكك الكيفية مع العمال العراقيين والتعامل معهم بأسلوب انساني .وقد منع المضربون من قبل الشرطة وحالوا بينهم وبين الوصول الى بناية وزارة الأشغال وقد طوقت الشرطة وحالوا بينهم وبين الوصول الى بناية وزارة الأشغال والمواصلات وبدأوا إضرابا ثانيا في شباط ١٩٣١ وتبنت جمعية الصنائع مطالبهم وكان اكبر من الاضراب الاول . وكان اضراب أواخر ١٩٣٠ والذي عرف بإضراب الرسوم(زيادة رسوم البلديات) من اكبر الإضرابات التي قام بها العمال والذين كانوا يعانون من انعكاسات الأزمة الاقتصادية العالمية التي حدثت منذ ١٩٢٩ وقد اجتمع في مقر جمعية أصحاب الصنائع ممثلي ٢٣ جمعية وصنفا وقاموا بأحتجاجات حسبت لها الحكومة حسابا كبيرا .

وقد اتسع الإضراب وشمل مدنا اخرى غير بغداد ومع أن الحكومة تعهدت بالغاء الرسوم الا انها لم تبر بوعدها وتطورت الاحداث واضطر الملك فيصل الاول الى التظاهر والاضراب الذي قمع بالقوة كما حدث في مذبحة كاور باغي بكركوك سنة ١٩٤٦ ووثبة كانون الثاني ١٩٤٨ وانتفاضة تشرين ١٩٥٢ وكان امتصاص نقمة العمال واحدا من أهداف إنشاء مجلس الاعمار والبدء بمحاولات إصلاحية للوضعين الاقتصادي والاجتماعي .

إن نضال الطبقة العاملة العراقية فرض على الحكومات وأصحاب المؤسسات والاحتكارات الرضوخ وإصدار تشريعات عمالية والموافقة على تأسيس نقابات وجمعيات عمالية.

فقد قامت الحركة العمالية بسلسلة اضرابية ومشاركة في التظاهرات والانتفاضات الجماهيرية، شملت الاضرابات اهم المؤسسات والمشاريع، بما فيها القواعد العسكرية البريطانية، وسكك الحديد والنفط والكهرباء والميناء.

ورغم أن صدور قانون العمل رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٦ تم بعد مماطلة وتسويف إلا انه أول تشريع صدر في العراق وظل ساري المفعول حتى بداية ١٩٥٨ حيث صدر تشريع جديد رقم ١ لسنة ١٩٥٨ ظل مجمداً حتى اندلاع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

أضيفت للقانون ذيول وتعديلات لصالح العمال بعد نضال طويل متواصل، فقد تناول القانون قضايا العمال وحدد العلاقة بينهم وبين أصحاب العمل ونص على حق التنظيم النقابي على اساس الصناعات – النفط، السكك... – أو الحرف– النجارة، الميكانيك... – ولكنه قيده بقيود ثقيلة كإجازة وزير الداخلية وحسن السلوك من الشرطة، وجعله عرضة للتعطيل الإداري. وتناول القانون بشكل خاص تحديد ساعات العمل والتعويض عن العطل الذي يصيب العامل في كل الإحالات، مخولا مجلس الوزراء إصدار قرارات بهذا الشأن، كتحديد ساعات العمل لأصناف العمال حسب صناعتهم وحرفهم وجنسهم وأعمارهم وغيرها.

إن اعتراف القانون بالتنظيم النقابي إقرار لواقع مارسه العمال قبل هذا التاريخ، ففي عام ١٩٢٩ توّج نضال عقد من السنين بتأسيس عدة نقابات وجمعيات عمالية ومهنية، خاضت وقادت سلسلة طويلة من الإضرابات والنضالات العمالية. ورغم اعتراف قانون العمل بحق التنظيم النقابي الا ان الطبقة العاملة منعت من ممارسته علنيا اكثر من ثمان سنوات، الى منتصف عام ١٩٤٤، ولم تنل من تلك الحقوق المعترف بها قانونا إلا بعد نضال صعب حتى في المشاريع التي تمتلكها الدولة أو تديرها كالسكك والميناء، ومع ذلك فقد عد القانون مكسباً للطبقة العاملة وثمرة نضالها الباسل وتضحياتها

منذ نشوئها، وتطوراتها، كانت نضالات الطبقة العاملة العراقية بتكوين نقابات عمالية لها، وانتقالها إلى مرحلة نوعية جديدة بإصدار قانون العمل عام وتعديلات عام ١٩٣٧ وعام ١٩٤٣ وغيرها، كانت مترابطة مع نضال الحركة الوطنية وتطور مسار الصراع الطبقي في العراق، وقوة ومكانة الطبقة العاملة في المجتمع.

لقد واجهت الحركة العمالية اضطهاد السلطات وتعرض قادتها للاعتقالات والتشريد والجوع والحرمان. ونشطت في نضالها.

واستطاعت الطبقة العاملة أن تحقق مكاسب جديدة عام ١٩٤٤ باضطرار الحكومة على الاعتراف بالحقوق النقابية وإجازة نقابات عمالية إلا أنها لم تستطع فرض حقوقها كاملة على السلطات واصحاب العمل والشركات الاحتكارية المهيمنة على اكبر المؤسسات الإنتاجية في العراق، نتيجة لعوامل عديدة، من أبرزها قلة خبرتها وتجربتها النقابية، حيث كانت تتسم لفترة طويلة بالحرمان من كل أشكال التنظيم، بالرغم من النمو الواسع لها، وما صاحبها من مناخ جدية وأوضاع صعبة وقعت تحت وطأتها فترة الحرب وماتلاها، وكذلك تسرب نفوذ أصحاب الإعمال الى قياداتها وعدم ضمها لجميع المشاريع الصناعية، وأكثرية العمال الماهرين، وغير الماهرين، الذين يشكلون نسبة الأكثرية بين الطبقة العاملة العراقية

ومن بين المكاسب العمالية التي تمكنت الطبقة العاملة العراقية تحقيقها، بعد تضحيات ونضالات متواصلة، إصدار" قانون الضمان الاجتماعي رقم ٥٧ لسنة "١٩٥٦. والذي كان أول قانون للضمان الاجتماعي للعمال في العراق. وكان في الحقيقة مسخاً لمبدأ الضمان الاجتماعي، فقد ألزم القانون رب العمل والحكومة بدفع ثلاثين فلسا يوميا مناصفة، وهو مبلغ تافه لايستحق الذكر بالقياس إلى قدرته الشرائية. وأوجب القانون عند دفع الإعانة إن لايكون العامل مشتركا في إضراب وان يكون قد ترك العمل باختياره وان يكون حسن السلوك والسمعة.

إن مما يعكسنا قوله ان الحركة العمالية ارتبطت بالحركة الوطنية لذلك حققت بعض المكاسب للطبقة العاملة وأبرزها الاعتراف بهذه الطبقة وجلب الانظار اليها كقوة اجتماعية لها وزنها وامكاناتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ولم يكن بوسع السلطة الحكومية تجاهل مطالب العمال ومن ذلك إصدار قوانين للعمل منها قانون العمل رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٦ ومع ان المناهج الوزارية تضمنت الكثير من الأمور التي تهم العمال والطبقة العاملة الا ان ما نفذ من هذه التشريعات والقوانين لم تأخذ طريقها الى التنفيذ وكان على العمال والوطنيين جميعا ان يعملوا ضمن هيكلية جديدة تمثلت بجبهة الاتحاد الوطني التي ضمت أحزابا عراقية عديدة وتنظيم الضباط الأحرار وقد كان من نتائج التعاون بين الجبهة وتنظيم الضباط الأحرار إسقاط النظام الملكي وتأسيس جمهورية العراق صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ .وبدأت عندئذ مرحلة جديدة من تاريخ الحركة العمالية في العراق .

عيد العمال العالمي

دور الأحزاب السياسية في تطور الوعي الطبقي للعمال في العراق

كان للأحزاب السياسية العراقية وخصوصا المتنورة منها في بداية العشرينات وبعد الحرب العالمية الأولى دور كبير في إسناد مطالب العمال في حقوقهم ومساندتهم لقيام منظماتهم المهنية والديمقراطية على الرغم من تذبذب هذا الدعم وهذه المساندة وخصوصا من قبل أحزاب لا تملك رؤيا علمية لطبيعة العمل واستغلال رأس المال لليد العاملة العراقية وتبنيها لفكر اشتراكي طوباوي بشكل خجول ومتردد منسجما بذلك مع طبيعتها الطبقية ((كبرجوازية وطنية ناشئة)) تحاول ان تقاوم النفوذ الأجنبي والهيمنة الإقطاعية ضمن شروط وضوابط الديمقراطية الليبرالية البرجوازية مستغلة الحيز الضيق من الديمقراطية السياسية في العراق (ففي ٢١ نيسان ١٩٢٧ صدرت جريدة بغداد باسم((نداء العمال)) لصاحبها (عباس الجليلي) ووقفت مجلة الشباب التي كان يديرها عبد القادر إسماعيل المحامي تدافع عن العامل).

في تموز (١٩٣٠) أجيزت مجلة نصف شهرية باسم ((الصنائع)) وهي أول مجلة عراقية يصدرها عمال عراقيون تنطق بلسان حالهم))

(مع بداية ارتفاع رايات النضال العمالي ارتفعت جنبا الى جنب كلمة الاشتراكية فشرعت الطبقة العاملة تنشر دعوة جادة لتوحيد صفوفها وتردد لأول مرة عام ١٩٣٠ شعار الاشتراكية المتطورة في العراق((ياعمال العالم اتحدوا)) فقد اتخذته مجلة العامل شعارا لها وتبنته في مقال افتتاحي.

(ففي عام ١٩٣٠ استطاعت جمعية الصنائع العراقية ان توطد مكانتها داخل الحركة العمالية وان تفتح لها فروعا عديدة في البصرة والناصرية وخانقين والنجف والحلة وفي معظم المناطق التي تتواجد فيها تجسيدات عمالية).

ولكن بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية وانتشار الفكر الاشتراكي والشيوعي في العراق وبقية دول العالم الثالث المستقلة منها والمستعمرة مما أدى الى ازدياد عدد الماركسيين والاشتراكيين العراقيين ومنذ منتصف العشرينات فقد انحاز العديد من الكتاب والأدباء والمحامين والفنانين وعموم المثقفين في العراق بدافع نزوعهم للحرية والتجاوز للقيم المتخلفة والبالية ومن اجل خلاص الوطن من براثن الاستعمار البريطاني المباشر وغير المباشر والتخلص من ذيوله في السلطة السياسية،ركز هؤلاء نشطاهم صوب العمال والفلاحين والحرفيين والطلبة وعموم الكادحين والمحرومين لكون هذه الفئات هي ساحة نشاطهم الأساسية والفاعلة في المقاومة والتغيير بناءا على ما يدعو إليه فكرهم الاشتراكي الماركسي والذي تتوج بولادة الحزب الشيوعي العراقي بقيادة العبقرية العمالية الشهيد يوسف سلمان -فهد- وبذلك فقد ركز الحزب الشيوعي العراقي جل نشاطه وتوجهه صوب العمال والفلاحين العراقيين بالخصوص والعمل على تنظيم صفوفهم في منظماتهم المهنية والديمقراطية مما ساعد كثيرا في رفع مستوى وكفاحية ومطاولة ونجاح الكثير من الإضرابات والاعتصامات المطلبية التي تخص حياة العمال اليومية ونقله الى الساحة الوطنية والسياسية((فاشترك العمال في العديد من المظاهرات والانتفاضات الجماهيرية ضد المعاهدات والأحلاف الرأسمالية ومناصرة قضايا الشعوب العربية ومنها (مقاومة معاهدة ١٩٣٠ وانتفاضة١٩٣١و١٩٣٦و١٩٤٦و١٩٥٢ و١٩٥٤و١٩٥٦).

وبخصوص العمل النقابي ومدى خوف السلطات من النشاطات العمالية كتب حنا بطاطو ما يلي((كانت الحلقة الضيقة من الحكام المستندين أساسا الى التحالف القائم بين الملاكين والبيروقراطيين والضباط الشريفين السابقين لذي تحولوا الى ملاكين والمشايخ الملاكين وأصحاب المصالح المالية قد اعتادت النظر الى الطبقات الأخرى على أساس إنها غير ناضجة وليست ذات حقوق سياسية)).

((فمنذ حل النقابات في العام ١٩٣٣ نادرا ما ينظر بعين العطف الى تجمع العمال لأهداف اقتصادية وكان قانون العمل الصادر في العام ١٩٣٦ قد تحدث بحلو الكلام عن حقوق العمال ومنح الحكام في الفترة ١٩٤٤-١٩٤٥ عندما كانوا في مزاج تسامحي ، الصفة القانونية لبعض الاتحادات النقابية ولكن يبدوا أنهم فتحوا على أنفسهم صندوق كل الشرور (صندوق باندورا) ولذا فقد سارعوا الى إعادة أحكام الغطاء عليه، وانتهت تجربة أخرى مع نقابات العمال في فترة ١٩٥١-١٩٥٢ بالطريقة نفسها وباستثناء السنوات المشار إليها فان الضغط من اجل أجور أعلى او ساعات عمل اقل أومن اجل حرية الإضراب كان يعني الخيانة السياسية وكثيرا ماكان يعني فقدان مصدر الرزق ،وأدت كل هذه الظروف الى تجذير الإرادة الشعبية))

((ولم يكن للثروة الجديدة التي رفعت القلة التي استفادت منها الى أعلى بكثير من جمهرة الشعب، والتي ولدت الترف في وسط البؤس، إلا ان تقوي الحواجز النفسية القائمة بين الطبقات وان تهدد بنية المجتمع وصار الأثرياء لا يفكرون إلا بأنفسهم وحدهم ولم يعد بإمكانهم ان ينظروا في وجوه العراقيين الآخرين مباشرة فيما يتعلق بالقضايا الأساسية)).

وكما تذكر منور الهاشمي زوجة طه الهاشمي في رسالة الى زوجها عام ١٩٤٣((.. الناس اللذين كانوا في السابق يركبون عربات تجرها الثيران صاروا يقودون اليوم السيارات وجيوبهم ملأى بأوراق اللعب)).

((فقد أصبحت معارضة الحكومة -يومها- بالنسبة الى معظم العراقيين مسالة غريزية ان صح لقول، استمرت في الظهور حتى بعد انقطاع او تهلهل الخيوط التي تربطهم بجماعتهم القبلية او المعتقدية)).

الأحزاب الساسية ودورها في العمل البناء الى دور الهيمنة والاحتواء:

((في أواخر الأربعينات ثم الخمسينات فقد حملت التجرات طابعا لم يكن معروفا من قبل وكان الاستياء الذي بقي سياسيا حتى ذلك الحين قد أصبح الآن اجتماعيا ولم يعد هذا الاستياء موجها نحو حكومة معينة بالدرجة الأولى او نحو سلوك حكومة معينة بل نحو النظام الاجتماعي نفسه ولا يصعب تلمس النفوذ الشيوعي في ظهور هذا النوع الجديد من الوعي. ولكن يجب إلا تعزى الأشياء الى ماهو قريب منها بل الى الأسباب البعيدة أي الى الأوضاع الحياتية التي أدت الى التفجرات وان ننسب كذلك الى مدى الاستجابة الى نوع الوعي الذي روجه الشيوعيون)) .

ومن الأمثلة على دور الحزب الشيوعي العراقي ما صدر في الملحق الصادر ((اتحاد الشعب)) لأواخر أيار ١٩٥٨ تحت عنوان ((الأعمار في ظل الاستعمار)) مستهلا العدد بالشعارات التالية:-

((فلتسقط سياسة التبذير والنهب والفساد)).

((الموت للذين يحكمون على اقتصادنا الوطني بالخراب ويدفعون الجماهير الى هاوية البؤس والعبودية والحرمان))

لقد لعبت الأحزاب السياسية دورا ملتبسا ومزدوجا بخصوص نضالات الطبقة العاملة العراقية ،فعلى الرغم من ان هذه الأحزاب استطاعت ان تغذي العمال والكادحين عموما بالفكر الثوري المطالب بالتغيير وجر العمال ليكونوا طبقة تعي ذاتها وتحولها من طبقة بذاتها الى طبقة لذاتها وكذلك مدها بأساليب التفكير والتفسير للأسباب الحقيقية الكامنة وراء اضطهادها وتخلفها وإكسابها خبرة العمال في مختلف بلدان العالم فأنهم ولأسباب ايدولوجية وتنافسية مشروعة على ساحة النضال الوطني والطبقي أدى بها الى الانجراف نحو نزعة الاحتواء والهيمنة على قيادة وتوجيه هذه المنظمات والاتحادات والنقابات المهنية والديمقراطية وإغراقها في كثير من الأحيان بشعارات غير متوازنة وغير عملية مغلفة وعيها المهني والطبقي بوعي سياسي مفتعل دون ان تتضح لدى العمال مراحل وطرق ووسائل الكفاح الطبقي والمهني ومدى ارتباطها بالكفاح السياسي والوطني ومن أمثال هذه الأحزاب الحزب الوطني الديمقراطي بقيادة أبو ألتمن(كانت الأفكار التي طرحتها ((الأهالي)) مبهمة وغير منتجة وكانت تردد صدى الغالبية أحيانا والماركسية أحيانا أخرى والدار ونية او الشعوبية ((النارودنكية)) الروسية بين حين وأخر ومن تعريف المجموعة في العام ١٩٣٥ بأنها تنوع إصلاحي وليبرالي ديمقراطي من الاشتراكية)) وهذا من أورث مرضا خطيرا في أكثر التنظيمات الاشتراكية العراقية وقد امتد هذا المرض الى يومنا هذا مما افقد الطبقة العاملة وحدتها وتراصها حول أهدافها المهنية والطبقية التي ستقود بالضرورة وعبر صيرورة طبيعية وموضوعية الى إنضاج وعيها السياسي...

(للأحزاب اليسارية دور هام في صياغة المطالب ((الحيوية)) صياغة متماسكة كما أنها او يجب ان تكون مصدرا أساس لصياغة منظومة قيمية تتحدى المنظومة السائدة وتطرح رؤية مختلفة جذريا للعالم... ان العمل الذي يزاوله المرء وثيق العلاقة بانتمائه الطبقي ولا يمكن للانتماء الطبقي او العمل الذي يزاوله المرء ان يخلقا وعيا يساريا بصورة تلقائية ولكن الحاجة الى التنظير مع ذلك مرتبطة ((عضويا)) بالطبقة العاملة نظرا لموقعها في صيرورة الإنتاج في المجتمع).

ففي الوقت الذي أفرزت التنظيمات المهنية والنقابات والاتحادات في العالم المتطور الأحزاب السياسية كنتيجة لما تقدم حصل في بلدنا والكثير من بلدان المشابه لبلدنا العكس حيث ان الأحزاب السياسية أصبحت هي المولدة والمؤسسة للمنظمات المهنية والديمقراطية لتكون واجهات تعبوية وجماهير انتخابية للأحزاب السياسية على الرغم من ادعاءاتها باستقلالية هذه المنظمات ، هذا ما حدث في أربعينيات وخمسينيات وستينيات القرن المنصرم من قبل الحزب الشيوعي العراقي في تعامله مع هذه المنظمات ومن ضمنها اتحادات الطلبة والشبيبة والمرأة والفلاحين.

وبعد عام١٩٦٨ ومجيء حزب البعث كرس نهج السيطرة على اتحادات العمال في العراق فأصبحت هذه المنظمات تقاد من قبل مكاتب الحزب المركزية لا تمثل أكثر من تبع للسلطة السياسية ومنفذة لرغباتها وديمومتها في الحكم سعيا منها لكبح وعيها السياسي والطبقي والوطني وخضوعا للسلطات الاستبدادية وقد أصبحت هذه القرارات والإجراءات تتناسب طرديا مع تنامي وعي العمال السياسي الوطني والطبقي ويقول(بول لافارج بأنه من مصلحة البرجوازي ان ينفق العامل المأجور قدرته العقلية في مجادلات حول العدالة الحرية الأخلاق وطن الإباء وما شاكلها من المفاهيم الأخرى حتى لا تبقى لديه دقيقة واحدة للتفكير في وضعه المزري) فاغرق البعث الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء وعموم الكادحين في بحر من الشعارات القومية والتي أثبتت الأيام انه أول من خرقها وقد لفظها في أول محطة تتطلب منه التنازل عن انفراده بالسلطة كقائد ضرورة بل على الأقل بوجود مقبول للأخر.

وقد أشاعت بعض القوى بين صفوف العمال نتيجة لجهلها بالمبادئ الأساسية للاشتراكية العلمية ومن مصادرها الأصلية نظرا لظروف الكبت والمنع لكل ما يمت للثقافة الاشتراكية العلمية خصوصا نقول أشاعت وعيا اشتراكيا فجا وفهما قاصرا لمفهوم ومعنى ودور الطبقة العاملة في التحرر من الاضطهاد والاستغلال حيث يذكر حنا بطاطو الحديث التالي لأحد العمال((الحديث الذي أجراه عامل غير شيوعي خلال "أيام آذار مارس" في الموصل ١٩٥٩ مع وزير خارجية العراق السابق عبد الجبار جومرد يكشف مدى كثافة المشاعر الطبقية العفوية لدى بعض هذه المجموعات قال العامل للوزير(في هذه الليلة سنطفئ الأنوار في المدينة ونتحسس أيدي الناس وسيذبح كل من ليست يداه خشنتين)).

ومن الأسباب الكامنة وراء هذه العفوية هو طغيان هجرة الفلاحين من الريف الى المدينة وهم يحملون وعيهم الفطري والبدائي القبلي وليس العمالي ألديني حيث يذكر جواد هاشم في هذا المجال ما يلي((ان نسبة سكان الأرياف في العراق الى مجموع سكان العراق قد تناقص من ٦٤٪في عام ١٩٤٧ الى ٣٨,٦٪ عام ١٩٧٣ وهذا يعني بالطبع ان القطاع الزراعي يضيف سنويا الآلاف من الأيدي العاملة الى القطاع الصناعي وغيرها من القطاعات الأخرى في المدن)) والكل يعلم كيف أخذت هذه الإعداد حاجة العائلة الفلاحية العاملة في الزراعة وان الأمر الخطير هنا فحين عملت القوى الرأسمالية والإقطاع على قذف الفلاحين الى المدن بعد تحويل أراضيهم الى مراعي للأغنام في ظل تطور صناعة النسيج فقد تلقفتهم المعامل وان اعتصرت قواهم في معصرة العمل المضني واللا إنساني ولكنها في الوقت نفسه صقلت وعيهم الطبقي والسياسي عن طريق عملهم في المعامل والمصانع العملاقة البريطانية ، عكس ما حدث في العراق إذ أنهم أصبحوا عالة على عمال المدن نتيجة عدم وجود فرصا للعمل فبدلا ان يصنع هذا الحال وعيا جماعيا عماليا أنتج عقلية القطيع التابع المتشبث بالقدر والغيب والصدفة والعمل في الإعمال الوضيعة مما اثر كثيرا على بلورة الوعي البروليتاري لدى هذه الجموع المضيعة والمتخبطة في وحل البطالة والجهل وهنا يذكر حنا بطاطو ((يمكن استنتاج المدى الذي وصل إليه الفقر المدقع في الذهاب بكبرياء الكثير من فلاحي العمارة العشائريين من خلال استعدادهم في الخمسينات للقيام بأي عمل يدوي في المدينة مهما كان وضيعا بينما كان هؤلاء أنفسهم قبل عقود قليلة يعتبرون أي عمل أخر مماثل غير حرائة الحقل كارثة وعارا ما بعدها عار)).

وقد استغلت السلطات البرجوازية والمستبدة الحاكمة هذا الوضع أشع استغلال فأخذت تجند هؤلاء في أجهزتها القمعية من الأمن والشرطة والمخبرين والجلادين وليس بعيدا فعل نظام البعث عشية الحرب العراقية الإيرانية هذه الحرب التي لم تكن وليدة سنتها في ١٩٨٠ بل اعد لها قبل عدة سنوات من قبل عقل كوني والذي كان اعتلاء صدام لسدة الحكم عام ١٩٧٩ إلا احد مقدماتها ، فقد استغل جفاف نهر الفرات واستحالة الزراعة مصدر رزق وعيش الفلاحين ، فجند عشرات الآلاف منهم في سلك الشرطة وإعطائهم الوعود بأنهم سيخدمون في مناطقهم وقرب عوائلهم ولكنه زجهم في محرقة القادسية بعد ان حولهم الى ألوية حدود وقد قتل او تعوق او اسر اغلبهم في جبهات القتال.

تظاهرات في شارع الرشيد

للأحزاب اليسارية دور هام في صياغة المطالب ((الحيوية)) صياغة متماسكة كما أنها او يجب ان تكون مصدرا أساس لصياغة منظومة قيمية تتحدى المنظومة السائدة وتطرح رؤية مختلفة جذريا للعالم... ان العمل الذي يزاوله المرء وثيق العلاقة بانتمائه الطبقي ولا يمكن للانتماء الطبقي او العمل الذي يزاوله المرء ان يخلقا وعيا يساريا بصورة تلقائية ولكن الحاجة الى التنظير مع ذلك مرتبطة ((عضويا)) بالطبقة العاملة نظرا لموقعها في صيرورة الإنتاج في المجتمع).

عن كتاب تاريخ الطبقة العاملة

شهاب احمد الحميد

مع مذكرات الدكتور خالد القصاب

خطأ طبي كاد يودي بحياة عبد الكريم قاسم 1959

رفعة عبد الرزاق محمد

مع عبد الكريم قاسم: من اليمين د. هادي السباك، د. خالد القصاب، د. محمد الشواف وخلفهم د. رشاد عبد الواحد من اليمين عام ١٩٥٩

قرأت الكثير عن الاطباء الأدباء قديما وحديثاً.. هو حديث مانع عن هؤلاء الذين جبلوا على حب الأدب، وابدعوا في فنونه، فظهرت العديد من المؤلفات التي تجمع اخبارهم الادبية، والطبية على حد سواء، غير اني كثير التلهف لقراءة سير الاطباء الفنانين وانجازاتهم الفنية الكبيرة التي لم تثنهم عن ممارسةمهنة قد تبدد للوهلة الاولى انها مجافية لرقة الفنان وشعور الاديب (ولعل آخر ما قرأت في هذا الموضوع ذكريات الدكتور علاء بشير عن تجربته الطبية والفنية).

ويبدو الامر اكثر اهمية عندما نعلم ان طبيبا جراحا اختصاصيا شهيرا لم تصرفه اسرة بغدادية عريقة شهيرة في كرخ بغداد فأبوه هو عبد العزيز القصاب (ت ١٩٦٥)، الشخصية السياسية والادارية الكبيرة واحد الاسماء البارزة في تأسيس الدولة العراقية، واخوه الدكتور عبد المجيد القصاب الطبيب، والسياسي، والوزير المعروف. ولعل المفيد ذكره ان ام خالد القصاب هي شقيقة الصحفي العراقي الهزلي نوري ثابت (حبزبوز).

وفي منتصف الاربعينات من القرن الماضي تخرج القصاب في كلية الطب بدرجة متفوقة اهلته لأن يصبح مختصا بالجراحة بعد دراسته في انكلترا وحصوله على زمالة كلية الجراحين الملكية سنة ١٩٥٢ وفي كليات عالمية اخرى. وفي السنوات اللاحقة حصل على درجة الاستاذ في كلية الطب بجامعة بغداد واصبح مسؤولاً عن الدراسات العليا في الكلية ورئيساً لقسم الجراحة في مدينة الطب (١٩٧٠) وتوفي في عمان سنة ٢٢ تموز ٢٠٠٤ وقد ترك اضافة الى اعماله الفنية الشهيرة، وسمعته الطبية الطيبة، شهادته عن الحياة الفنية الرائدة، في ذكريات مهمة نشرت في لندن اخيراً.

ويذكر ان مدرس الرسم في متوسطة الكرخ رشاد حاتم قد دخل حياته في تلك السن المبكرة يقول: كان رشاد حاتم يسعى لتعليمنا بنشاط و حب كبيرين، دفعنا امامه الى مرسم كبير كان قد اسسه بالقرب من المدرسة لنعمل فيه بعد اوقات الدوام، لقد ترك رشاد حاتم اعجابا كبيرا في نفس وحيرة اكبر، كيف تمكن ان يفتح هذا المرسم الكبير في وسط محافظ في صوب الكرخ وفي اواسط الثلاثين من القرن العشرين، على ارض بكر جرداء لا تعرف الفن؟

لقد عشق خالد القصاب الرسم وهام في اجوائه، ومما زاد في حبه – كما يذكر في ذكرياته الشائقة – صلة ابيه برائد الرسم في العراق عبد القادر رسام (ت ١٩٥٢) الذي يعد ابو الحركة الفنية في العراق.

وقد اصبح خالد القصاب سنة ١٩٥٠ احد انصار جماعة الرواد، بل انه استضاف اول معرض لها في داره المطلة على دجلة في كرادة مريم وشارك في السنوات التالية في العديد من المعارض الفنية الكبيرة ببغداد وخارجها.

خالد القصاب يتحدث عن محاولة اغتيال قاسم 1959.

يقول: في مساء ٧/ت٢/١٩٥٩ حين كنت في عيادتي في منطقة البتاوين، سمعت لغطاً واضطرابا في الشارع وصراخا يردد ان قاسما قد قتل، طلبت من مساعدي زمالة كلية الجراحين الملكية سنة ١٩٥٢ سيحدثا فيما بعد.. وكنت على وشك ان اغادر العيادة واذا بجرس الهاتف يرن، وكان المتحدث يتكلم بهياج واضطراب، وقال لي ان الزعيم مصاب، وهو الان في مستشفى السلام، اجلب معك قناني دم وتوجه حالا الى مستشفى السلام، لم اتمكن من معرفة من كان يتكلم معي، وهو بالتأكيد لم يكن طبيبا، ولم يكن وزير الصحة الدكتور محمد الشواف لأن طلبه كان غريبا، فكيف لي ان اجلب معي قناني الدم بهذه العجالة؟ وبقي الشخص مجهولا حتى عرفت من هو بعد مرور ما يقرب عن نصف قرن.

لم يكن أحد على علم بان قاسم كان انذاك في مستشفى السلام في السعدون، فعندما تعرض للهجوم بالرشاشات في شارع الرشيد اعتقد مهاجموه انه مات، وكان سائقه قد قتل فتطوع سائق سيارة اجرة لأخذه الى المستشفى وامره عبد الكريم بالذهاب الى مستشفى الرشيد العسكري، ثم امره في الطريق ان يعرج على مستشفى السلام من ملاحقة المهاجمين له اذا ما كانوا قد سمعوه يطلب من السائق التوجه الى مستشفى الرشيد العسكري.

كنت اول من وصل الى المستشفى واجتزت جمعا كبيرا من الناس كانوا يتباكون ويصرخون، اسرعت الى قاعة العمليات في الطابق العلوي حيث وجدت قاسم تغطيه الدماء، وكان يتكلم بحماسة وشجاعة بين الجماهير، ماذا عملت؟ حررت البلاد من الاستعمار، وانسحبت من الاحلاف العسكرية، وانصفت العامل والفلاح.

وصل وزير الصحة بعدي، ووجه كلامه الى بعض الاطباء السوفييت في القاعة وامرهم بالخروج ثم وجه كلامه الي: انت المسؤول الان افحصه وقدم لي تقريرك عنه، اجبته ان هناك طلقا ناريا في الابط الايسر واخر في العضد الايسر، واخر اجتاز الكتف اليسرى ورابع في جدار الصدر، وحالته العامة مستقرة ولا خطورة فيها. ثم بدأت باجراء العملية لاستخراج الطلقة من الابط تحت المخدر الموضعي، من القواعد السليمة في زرق المخدر هو ان اقوم بالسحب قبل الزرق تفاديا لزرق محلول التخدير في وريد مما قد يؤدي الى موت فجائي. وفي تلك العملية لأول وآخر مرة في حياتي، ادى السحب الى خروج الدم بشكل غزير دلالة على نفاذ ابره الزرق في وريد الابط بحيث كان يودي بحياة مريضي عبد الكريم قاسم. فغيرت الابرة، ونقلت موقعها، وتفاديت غلطا كبيرا. كل هذا وحشود من المرافقين كانت تحدق بي، وتتابعني من الشرفة المحيطة بقاعة العمليات، ان الطب من ادق المهن، يتعامل مع الحياة والموت، وقد تكون السكين او الابرة بين الجراح اداة خير ورحمة، كما قد تكون أداة قاتلة اذا ما اسيء استخدامها ولم تستخدم بالشكل العلمي الصحيح والويل للطبيب اذا ما شذّ من هدفه المقدس الذي اقسم عليه، واتخذ من الطب غطاء لنوايا اخرى، فتلك جريمة لا تغتفر.

بعد الانتهاء من عمليتي للزعيم، ذهبت لاسعاف مرافقه الرئيس قاسم الجنابي الذي كان وجهه ملطخا بالدم. وكان يردد: "قلنا له لا تعدم الضباط، لكنه لم يسمعنا". كان الجنابي رجلا عالي الخلق، فاضلا. في تلك الليلة اذاع عبد الكريم قاسم خطابا قصيرا بثه من غرفته، ثم امر الوزير محمد الشواف تشكيل لجنة طبية خاصة برئاسته ، تضم في عضويتها انا والدكتور رشاد عبد الواحد، مدير الامور الطبية في وزارة الدفاع، واقترحت مع الوزير اضافة طبيب اختصاصي بالكسور، فضم الدكتور هادي السباك لعضوية اللجنة ايضا.

امضينا مع عبد الكريم قاسم اكثر من شهر في مستشفى السلام نزوره في جناحه الخاص مرتين كل يوم في الاقل.. ونصدر نشرة طبية بذلك، اتاحت هذه المرة في التعرف الى شخصية الزعيم عن قرب في مرحلة صعبة من تاريخ العراق..

ولم اكن اعرفه من قبل وجدته بغداديا في صفاته، متواضعا، حاد الذكاء، غير طامع بغنى ومحبا للنكتة. وهو لا يتقن اللعبة السياسية ولا يدرك خفاياها. لم يتمكن من خلق قاعدة حزبية قوية له تمكنه من الوقوف امام التيار اليساري او اليميني، فانجرف في متاهات ادت به الى انهيار حكمه، ان التمادي في سرد الاحداث السياسية سيبعدنا من اجوائنا الفنية، وعلى ان انهي هذه الفقرة بخطابات قصيرة، ربما كانت ذات فائدة، قبل ان يطويها النسيان.

في مساء اليوم التالي، وعندما كنا في زيارتنا الطبية، سمعت اصوات طقطقة من ضربات الجزمات العسكرية فوق الارض تتوالى في مدخل المستشفى، دلالة على التحيات العسكرية وقدوم شخص مهم، تطلعت من الشباك، وسالني الزعيم: ماذا ترى؟ اجبت انه الفريق نجيب الربيعي، رئيس مجلس السيادة. لابد انه جاء لزيارتكم، ولدى اقتراب وقع الاقدام من الجناح الخاص اعتذرنا عن البقاء وطلبنا الاذن بالانسحاب بفسح المجال لهذه الزيارة المفاجئة، لكن الزعيم طلب منا البقاء.. وعندما اطل الفريق الربيعي من الباب قال له عبد الكريم معتذرا: عفوا سيدي لدي فحص طبي الان وفي رأي، كان تصرفه ذلك دليلا على انه كان يشك في اشتراك رئيس مجلس السيادة في المؤامرة للقضاء عليه.

كان عبد الكريم يحب التحدث الى لجنته الطبية، ويطيل الكلام شارحاً خطاباته الجماهيرية مفتخرا بصياغة جملها. معيداً علينا فقراتها عدة مرات. وفي احد الايام ارانا مفكرة صغيرة قال انه حصل عليها من جيب السفير البريطاني همفري تريفليان. وهو من المع الدبلوماسيين الانكليز.. هذه قصة تذكرنا بالجاسوس الالماني سيسرو الذي كان خادماً للسفير البريطاني اثناء الحرب العظمى الثانية في انقرة. وسرق منه اسراراً في غاية الاهمية.

بقي السؤال، من كان صاحب الصوت المضطرب الذي دعاني للذهاب الى مستشفى السلام لمعالجة عبد الكريم قاسم؟ لم اجد الجواب الا بعد مرور اربعين عاما.

فقد جاء الى عيادتي عام ١٩٩٩ رجل تجاوز عمره الثمانين، كان هزيل البنية، خفيف الدم، يضع على رأسه قبعة، قال انه عمل سكرتيرا لمجلس الوزراء وعاصر الكثير من الرؤساء، وكتب عن ذكرياته وانطباعاته منهم من نوري السعيد حتى قاسم ومن تلاه ورفضت وزارة الاعلام نشر مؤلفه. كما ادعى لما فيه من صدق في تقويمه لشخصياتهم وتصرفاتهم. واستمر في ذكرياته ليحدثني عن يوم ٧ تشرين الثاني ١٩٥٩. قال انه كان واقفاً مع المصور ارشاك في محله في شارع الرشيد. وساعد على حمل عبد الكريم الجريح لكي ينقله سائق السيارة الى مستشفى السلام ليصاحبه ممدوح ارزوقي (هو ممدوح عبد الرزاق المهداوي، ابن عم فاضل عباس المهداوي.. رفعة) وقال انهم لدى وصولهم المستشفى شاهدو اللواء عبد الجبار جواد. زوج اخت عبد الكريم قاسم واقفا وبجانبه عبد المجيد جليل مدير الاستخبارات (الامن العامة) يتكلم بالتلفون بصوت عال، طالبا مني القدوم الى المستشفى، اعدم عبد المجيد جليل واختفت قصة استدعائي وبقيت انتظر اربعين عاما.

خرج الزعيم عبد الكريم قاسم من المستشفى معافى، وفي ١٥ كانون الاول ١٩٥٩ افتتح المؤتمر الطبي السنوي الاول للجمعية الطبية العراقية ومؤتمر الطب واعتلى المنبر يتكلم. فبدأ خطابه بتوجيه عبارة لي. وكنت واقفا في الممر القريب من المسرح، قال: انني مدين للاطباء في حياتي..

ذكريات اخرى عن عبد الكريم قاسم والفن:

كان عبد الكريم قاسم لم يزل راقداً في تتوسطها منضدة مستطيلة حيث يجتمع مجلس الوزراء، وفي ركن من الغرفة عرض قميص الزعيم الملطخ بالدم. كان عبد الكريم لطيفا في لقائه وبسيطا في تصرفاته وبما عرف عن طبائعه البغدادية بتقديم الشاي الثقيل المركز المشبع بالسكر و(الشلغم) اللقت المسلوق الذي يأتي به من منطقة الميدان.. وبعد ان قمنا بالفحص الطبي، انطلق الزعيم بالحديث عن منجزات الثورة عن قائمقام الكويت وغير ذلك. وكنت انا واثقا انه مهما اطال الزعيم في حديثه، فعليه ان يتركنا وشاننا في تمام الساعة التاسعة مساء موعد اجتماعه بمجلس الوزراء. ولكنه في تمام التاسعة قال لي: هل تريد ان تعرف ما نفعله للمنظمات الاجتماعية؟ تعال لأريك..

تركنا قاعة المجلس وسرنا خلفه، والتقينا في طريقنا الوزيرين ابراهيم كبة وطلعت الشيباني يحملان حقيبتيهما الوزارية. التفت الى الدكتور محمد الشواف وسألته الى اين نحن ذاهبون، فقال: ليش اني اعرف. وكنت متوقعا انه سيذهب بنا الى غرفة مجاورة ليرينا بعض المشاريع، لكنه نزل سلم وزارة الدفاع الضخم، وجزمات الجنود تصفق بتحياتهم العسكرية، استقل عبد الكريم سيارة عسكرية، وذهبنا في سيارة جيب اخرى، اخذنا اولا الى سدة ناظم باشا في الباب الشرقي، ووجه اضوية السيارات الى الاكواخ الطينية المبنية على حافة (المسيّن)، ومجاري المياه الوسخة. كانت السماء تمطر انذاك. نزل من سيارته وقال: دكتور شعبك يعيش هكذا.. حتى انتهى من الجولة وقرر الرجوع. التفت نحونا وقال: لماذا تتركوني وحدي في سيارتي؟ اريد اخذكم معي". ووقع خيار زمائي عليّ، فذهبت معه لاحظت انه كان حذرا جدا، ويجلس على حافة المقعد الخلفي ويراقب الارصفة يمينا وشمالاً، ويأمر السائق بالانعطاف في سيره من شارع لآخر، كان متوترا، ولابد ، نتيجة المحاولة السابقة لاغتياله.

كنت اجلس بجانبه، ورأيت ان الوقت مناسبا لكسر هذا الصمت والتوتر، فافتح موضوعاً جديداً.. بدأت اتكلم عن جواد سليم وما نكن له من احترام كبير. سمعني ولكنه لم يعلق باي شيء، وبقي صامتا، شعرت عندئذ انه كان منزعجا من جواد، ربما بسبب ما شاع انذاك عن انه طلب من جواد ان ينحت وجهه ويضعه في نصب الحرية، لكن جواد رفض ذلك.

رجعنا الى وزارة الدفاع والساعة تشير الى الثانية صباحا، تسع ساعات منذ بداية جولتنا، وسألت نفسي ماذا حدث لاجتماع الوزارة الذي كان مقرراً اذ ينعقد في التاسعة مساءا؟

خالد القصاب، ذكريات فنية (دار الحكمة ، لندن، 2007)

كان عبد الكريم يحب التحدث الى لجنته الطبية، ويطيل الكلام شارحاً خطاباته الجماهيرية مفتخرا بصياغة جملها. معيداً علينا فقراتها عدة مرات. وفي احد الايام ارانا مفكرة صغيرة قال انه حصل عليها من جيب السفير البريطاني همفري تريفليان. وهو من المع الدبلوماسيين الانكليز.. هذه قصة تذكرنا بالجاسوس الالماني سيسرو الذي كان خادماً للسفير البريطاني اثناء الحرب العظمى الثانية في انقرة. وسرق منه اسراراً في غاية الاهمية.

العراق ومؤتمر (أريحا) سنة 1948

خالد خلف داخل

عبد الاله

الملك عبد الله

نوري السعيد

مزاحم الباجه جي

اتخذت الدول العربية في ١٩٤٨/٤/١٧ قراراً اوضحت فيه انها تهدف من تدخلها العسكري في فلسطين الى انقاذها من الصهيونية وتسليمها الى شعبها وليس توسيع املاك اي من الدول العربية ولكن بعد اتفاقات الهدنة وانسحاب الجيش السوري واللبناني وتخلي الجيش العراقي عن المناطق التي كان يشغلها لصالح الاردن اوجد وضعا جديدا ونتيجة للخلافات السياسية بين دول جامعة الدول العربية ولاسيما المعسكر الهاشمي الذي يضم العراق والاردن والمعسكر المصري – السعودي فقد تقرر تسليم المناطق الفلسطينية من قبل الجيش المصري الى حكومة عربية تسمى عموم فلسطين اعلن تشكيلها في قطاع غزة في ١٩٤٨/٩/٢٠. لكن مؤتمر اريحا الذي نادى بالملك عبدالله ملكا على فلسطين والاردن زادت شقه الخلاف بين الاردن وبقية الدول العربية ونظر لادراك العراق للنتائج التي يمكن ان تترتب على ضم الاردن للقسم العربي من فلسطين اليها لذا ارسلت الحكومة العراقية وفدا على مستوى عال الى عمان للاجتماع بالملك عبد الله ويذكر صالح صائب الجبوري بكتابه محنة فلسطين واسرارها فيقول ضم الوفد نوري السعيد والمدفعي وجمال بابان وصالح صائب الجبوري وتمت مقابلة الملك ورجا نوري السعيد الملك عبدالله ارجاء الموافقة على قرارات اريحا القاضية بضم اراضي فلسطينيه الى الاردن والمناداة بالملك عبد الله ملكا للاردن وفلسطين.وعلى اثر عودة الوفد عقد مجلس البلاط اجتماعا حضره رئيس الوزراء مزاحم الباجه جي ونوري السعيد وقسم من رؤساء الوزارات وصدر بعد الاجتماع بيان رسمي يؤكد سعي العراق حكومة وشعبا لمواصلة جهده لازالة عوامل الشقاق والخلاف بين بعض الجهات العربية متوخية في ذلك تقريب وجهات النظر تحقيقا للوحدة يذكر المؤرخ عبدالرزاق الحسني فيقول بان الملك عبد الله وافق على تاجيل مصادقته على قرارات مؤتمر اريحا على شرط ان تمتنع الدول العربية من مد اية مساعدة مادية كانت او معنوية الى حكومة عموم فلسطين مما دفع احد نواب مجلس النواب العراقي النائب عبدالوهاب محمود عندما صرح بالمجلس بان حكومة شرق الاردن قد نحرت الاماني العربية ويجب على الحكومة العراقية ان تكون صريحة في سياستها تجاه مؤتمر اريحا لتنفي عن نفسها تهمة متابعة حكومة شرق الاردن ولتثبت للامة العربية ان العراق هو الذي يجب ان يتولى قيادة الامة العربية في توجيهها الى نيل المجد والرفعة لا شرق الاردن تلك الدولة الصغيرة التي لا تزيد مساحتها عن مساحة قضاء القرنة بعد هذا الهجوم الذي تعرضت له الحكومة في المجلس النيابي وعلى صفحات جريدة صوت الاهالي مما جعل رئيس الوزراء يحدد موقف حكومته بشكل محدد وواضح من خلال اجابته على سؤال بخصوص موقف العراق من مؤتمر اريحا فقد اجاب بقوله اصرح للمجلس العالي بان الحكومة العراقية لا تعترف بمؤتمر اريحا ولا يأتي قرار اصدره سابقا او لاحقا فالحكومة العراقية سياستها منسجمة مع سياسة الجامعة العربية ولايمكن لها ان تشذ في وقت من الاوقات عن مقررات الجامعة المذكورة وعندما استقالت وزارة مزاحم الباجه جي وجاء نوري السعيد الى الحكم عادت الحكومة العراقية الى التلميح دون التصريح يذكر عوني عبد الهادي في مذكراته فيقول سأل مراسل مصري بتاريخ ١٩٤٩/١/٢٩ جميل المدفعي مندوب نوري السعيد للتفاوض مع الحكومة المصرية من اجل تنسيق الموقف السياسي والعسكري بين البلدين عما اذا كان العراق توافق حتما على ضم فلسطين الى شرق الاردن اجاب بقوله: ليس لي علم بهذا النبأ على ان فلسطين تختص باهلها قبل كل واحد وقد اجمعت الدول العربية ومن بينها العراق على تحرير هذا القطر لاهله وقد اشيع ان الملك عبد الله ملك الاردن يفاوض اسرائيل لعقد صلح منفرد تم عقد اجتماع للجامعة العربية في اذار ١٩٥٠ طالبت مصر بطرد الاردن من الجامعة العربية واستغل النحاس باشا رئيس وزراء مصر تغيب الاردن اقترح دعوة احمد حلمي رئيس حكومة غزة لحضور اجتماعات الجامعة الامر الذي حمل الملك عبد الله على تغير موقفه فاصدر امره الى وزيره في القاهرة بحضور الجلسات على ان يمتنع عن المناقشة اذا ما قرر المجلس الخوض في موضوع التسوية الاقليمية في فلسطين. عند استقالة نوري السعيد وجيء بتوفيق السويدي للحكم واعتباره رئيس مجلس الجامعة ابرق الى رئيس وزراء الاردن برقية يقول فيها ان الباب لايزال مفتوحا امام الاردن وننصح الملك عبدالله بالتخلي عن اي ترتيبات يفكر باجرائها مع اسرائيل وبالتعاون في سياسة مشتركة مع الجامعة العربية لكن برقية السويدي لم تلق اذنا صاغية من الملك عبدالله فمضى في اجراءات ضم الضفة.

يذكر الدكتور ممدوح الروسان فيقول دعت مصر اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية الى اجتماع في ٩/حزيران/ ١٩٥٠ حيث بعث توفيق السويدي باسم اللجنة السياسية يسأل الملك عبد الله فيما اذا كان يوافق على اعتبار فلسطين العربية وديعه لدى المملكة الاردنية الى ان تتم تسوية مشكلة فلسطين تسوية نهائية فابرق ممثل الاردن يسأل ويرجو الملك عبد الله بالموافقة فلما تلكأ الاردن طالبت مصر قرارا بفصل الاردن من الجامعة العربية فوافقت اللجنة في ١٥/حزيران/١٩٥٠ بالاجماع على قرار ينص على ان اتحاد الاردن مع القسم العربي من فلسطين يعتبر نقضاً لقرار جامعة الدول العربية بشأن فلسطين لكن العراق واليمن رفضا الموافقة على العقوبة الواجب توقيعها على الاردن وهي الفصل من الجامعة في حين وافقت مصر والسعودية وسوريا ولبنان يذكر المؤرخ عبد الرزاق الحسني في موسوعته تاريخ الوزارات العراقية فيقول ان السويدي ابرق الى عبد الاله يرجوه التوسط لدى عمه الملك عبد الله للحيلولة دون انقسام الدول العربية اما الشريفي وزير خارجية الاردن فقال ان الاردن لن ينسحب من الجامعة العربية ولن يبدل سياسته تجاه فلسطين ويمضي السيد عبد الرزاق الحسني فيذكر عن بريطانيا وامريكا قد اعترفتا بعمل الاردن بتوحيد الضفتين لانه من صنعهما وتنفيذا لسياستها وقد اسرع السفيران البريطاني والامريكي الى مقابلة مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء المصري واعربا له عن رغبة حكومتيهما في عدم الاجهاز على المملكة الاردنية وفصلها من جامعة الدول العربية اما رأي الحكوة العراقية فان توحيد الضفتين كانت قد املته ظروف فلسطين العسكرية والسياسية والاقتصادية وهو لا ينطوي على اية تجزئة لفلسطين وان هذا الضم لايؤثر على التسوية الاخيرة لقضية فلسطين فحينما تظهر التسوية يعاد النظر في قرار الضم.

يونس بحري كما يصفه كاتب عربي

وديع فلسطين

كاتب واديب مصري

يبدأ نشرة الاخبار بقوله: "هنا برلين، حي العرب"، ثم يذيع نشرة الاخبار بلهجة خطابية وصوت مجلجل، مشيداً وبانتصارات المانيا الهتلرية، ساخرا من دول المحور وزعمائها، مؤكدا ان النصر هو نصيب هتلر وجنوده المظفرين، وكان يحرض العرب على الثورة على دول الحلفاء التي تستعمرهم (انجلترا وفرنسا وايضا ايطاليا) فكان الناس في كل العالم العربي يحرصون على الاصغاء الى اذاعات يونس بحري على الرغم من عمليات التشويش المسلطة عليها. وعندما اصدر العقاد كتابه "هتلر في الميزان" وادان فيه نظامه النازي وجميع الانظمة الدكتاتورية، شن عليه يونس بحري حملة شرسة وتوعده بالمشنقة، ولهذا سارع العقاد الى السفر جوا الى السودان بمجرد ان وصل القائد الالماني روميل الى العلمين مهدداً بالزحف على الاسكندرية والقاهرة ولم يسلم من لسان يونس بحري اللاذع زعيم او كاتب اتخذ موقف الانحياز ضد هتلر ومحوره، واذا كان المذيع الالماني باللغة الانجليزية قد تنكر تحت اسم اللورد هاوهاو، فان البحري كان يعلن اسمه صراحة، ويضيف اليه عبارة "عبو" – ولا اعرف معناها.

وانتهت الحرب بفوز الحلفاء، فنزح يونس بحري الى باريس حيث اصدر جريدة عربية اسبوعية عنوانها "العرب" يحررها من الألف الى الياء باسلوبه الساخر وقلمه اللاذع الذي يتناول به الزعماء الذين لا يرضى عن تصرفاتهم. وهو الذي اطلق على عبد الرحمن عزام باشا اول امين للجامعة العربية اسم "ابو الكلام" بسبب خطبه وتصريحاته العنترية، وكان يوافيني بجريدته على غير معرفة سابقة، كما كان يجاملني في كتاباته في حين كان يقسو في الحملة على المسؤولين حتى قلت له في رسالة: إنك تحرجني بكلامك الطيب، واستشهدت بقول للشاعر المهجري إلياس فرحات لا أتذكره.

لم التق بيونس بحري إلا مرة واحدة زار فيها القاهرة فاحتفى به المجاهد الفلسطيني محمد على الطاهر (أبو الحسن) والطبيب الدكتور الطيب ناصر الذي درس في ألمانيا اثناء الحرب وانضم هناك الى العرب المجاهدين ومنهم سماحة الحاج محمد أمين الحسيني مفتي القدس الأكبر والدكتور مصطفى الوكيل عضو حزب مصر الفتاة، وكان حكمي عليه عن قرب انه "مهرج" او "شرلطان" – كما يقول اخواننا الشوام. فهو مثقف اللسان، بوهيمي المسلك، إذا ضحك اسمع الحي كله، واذا نصبت مائدة الطعام فتك بكل ما عليها. اما سخرياته فلم ينج منها زعيم او كبير، فلا يدري سامعه هل هو هازل او جاد، لأنه يخلط بين المرين، ويبدو ان السلطات الفرنسية لم تطق بقاءه في باريس، فامرته بمغادرتها وإغلاق مجلته المثيرة للمشكلات، فتنقل في أنحاء العالم العربي وعاش فترة في الخليج حيث عين محرراً لجريدة "ابو ظبي نيوز" باللغة الانجليزية ومديراً لشعبة الترجمة في وزارة الاعلام والصحافة، ثم عاد الى بغداد حيث توفي عام ١٩٧٩م عن نحو تسعين عاماً.

ولكي تكتمل صورة يونس بحري انقل ما رواه عنه صديقه الروائي السوري الدكتور عبد السلام العجيلي – وهو في اعتقادي احق الناس بجائزة الرواية العربية – في كتاب له عنوانه "حفنة من الذكريات" إذ كان العجيلي هو واستاذ الفلسفة الدكتور عبد الرحمن بدوي من اقرب المخالطين ليونس بحري في باريس.

يقول العجيلي: "يونس هذا واحد من الشخصيات المغرقة في الطرافة او العجيبة الأطوار.. لم يكن يونس بحري انذاك مجرد مذيع يقرأ النشرة التي تقدم إليه قراءة باهتة، بل كان خطيباً مصقعاً وداعية مثيراً ومعلقاً ساخراً. كان يصف انجلترا التي كانت الغواصات الالمانية تصطاد سفنها في جوانب المحيطات بانها بريطانيا سيدة قعر البحار. ولازلنا نذكر استدراكه حين اخطأ، عن عفوية او متعمداً، فلفظ اسم تشمبرلين مكان تشرشل، إذ اسرع فقال: معذرة، إن البقر تشابه علينا! وكانت أحدى نكاته البليغة الشديدة إيلاما حين اعلن بان وزارة الحرب الالمانية زادت ميزانية دفاعها ثمانية ماركات، لماذا؟ لأن الإمارة العربية الفلانية انضمت اخيرا إلى الحلفاء واعلنت الحرب على الرايخ الألماني".

واستشهد العجيلي بمقال للكاتب السودان محمد خير البدوي – ولعله قريب للأديب السوداني الدكتور احمد محمد البدوي الذي وصفني في "هلال" اكتوبر الماضي بانني "شيخ العقاديين" وهو شرف لا أدعيه وتهمة لا ادفعها – حيث قال:

"بقيت في حياة البحرى امنية واحدة لو رد الى الحياة لدفع راضيا قانعا نصف عمره من أجل تحقيقها. امنيته ان يقف وراء ميكروفون إذاعة القدس المحررة مناديا: حي العرب، إيذانا بمولد الدولة العربية في فلسطين، ثم يتفرغ بعد ذلك البحث عن زوجاته الثمانين وابنائه وبناته المنتشرين في مشارق الأرض ومغاربها، ولا سبيل لأحصائهم، ولكن عددهم يتجاوز المائة قطعاً. ومات يونس بحري الأسطورة ولما تتحرر الأرض السليبة. لقد امضى حياة مثيرة حافلة تفوق فيها زواجا وتجوالا على الرحالة العربي ابن بطوطة، إذ هيأت له وسائل النقل المعاصرة الطواف على اركان المعمورة، وخلف وراءه في كل بلد زاره زوجات ورهطاً من البنين والبنات.. ومن اشهر ابنائه الادميرال رعد يونس بحري قائد الاسطول الفلبيني والدكتور سعدي المحامي في باريس".

واثبت العجيلي مذكرة وجهها واحد من ابناء يونس بحري إلى الحاكم العسكري العام في بغداد يحتج فيها باسم المقاومة الشعبية على إطلاق سراح والده؛ فهو مزواج ومغامر وعربيد ويستحق السجن إلى الأبد او الموت!.

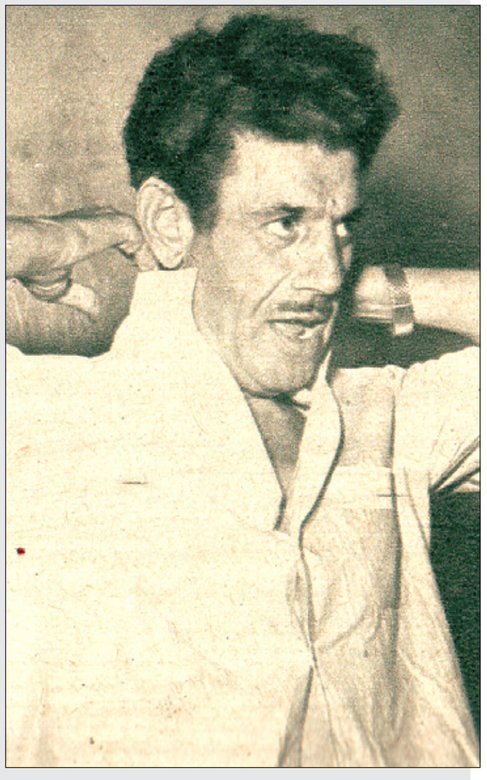

يونس بحري

أدولف هتلر

عن مجلة الهلال المصرية

قراءة في ذاكرة صحفي

معضلة ازلية.. غربة ذوي العقول وحيداً.. غادرنا الشاهري..

شكيب كاظم

لقد كنت اقرأ ما يكتبه المؤرشف العراقي الضليع وحيد حسن الشاهري في جريدة (العراق) او في مجلة (الف باء) فكنت اعجب من هذه الذاكرة الوقارة، التي تحتفظ بوصر واضحة لمعالم بغدادية، كرخية، تكاد تطمس من الذاكرة او الباصرة، غير ان وحيدا الشاهري، كان يقدمها حية واضحة قريبة من ذهن المتلقي، ولكم عجبت من هذا الارشيف الضخم والضخم من المعلومات عن الافلام العربية والاجنبية.

التي كانت تعرض في دور السينما، سنوات العقدين الخمسيني والستيني من القرن العشرين فيقدم للقارئ بين حين وآخر حديثا عن افلام بقيت في الذاكرة، يلخص قصة الفيلم، مقدما اسماء ممثليه وممثلاته، ولا يكتفي بهذا الشرح والتلخيص بل يقدم رأياً فنيا ذكيا عن مجريات الفيلم، لابل في بعض الاحيان نقدا للفيلم من ناحية التصوير او التمثيل او الانارة، او الموسيقة التصويريةللفيلم، مع الصورة التخطيطية الاصلية التي تعرض على واجهة دور السينما.

لم يقتصر جهده على الحديث عن الافلام العربية او العراقة – على ندرتها وقلتها – الغنائية منها او التاريخية او الاجتماعية، بل كان يتناول باحاديثه تلك افلاما اجنبية امريكية او ايطالية، إذ ما كانت تصلنا الإفلام الفرنسية، بسبب مقاطعة العراق لها، احتجاجا على السياسة الفرنسية المناوئة لتطلعات الشعب الجزائري الشقيق، الثائر بقيادة جبهة التحرير الوطني الجزائري، الهادفة لنيل الحرية والاستقلال، وحتى مجيئ الرئيس الفرنسي الرائع للسلطة في شهر مايس من عام ١٩٥٨ الجنرال شارل ديغول قائد النضال الفرنسي ضد الاحتلال الالماني لفرنسة، ومن ثم عقده ممارثارت ايفيان في شهر اذار ١٩٦٢ التي اعترفت بحق تقرير مصير الشعب الجزائر، اقول ما كانت هناك افلام فرنسية وقلة هي الانكليزية، وكان الفكاهي فورمان وسدوم فرس وهانها.

كان الشاهري وحيد حسن، يعيد لذاكراتنا، ممثلين وممثلات عماقة ابوا ان يغادروا ذاكرة مشاهدي افلام تلك السنوات مثل: همفري بوكارد، والان لار ومنتكومري كلفت، وكركوري بيك، وفرانك سيناترا. وكاري كوبر، وفكتور ماتيور، وبرت لانكستر، وكلين فورد، وسبنسر تريسي، وجون واين، وجيمس ستيوارت، وستيوارت جرنجر، وريتشارد ويدمارك، وكيرك دوكلوس، ولي. جي. كوب، ومارلون براندو، وروبرت تايلور، وروك هدسون، وتاري كرانت، وكلارك كيبل، وتوني كيرتسي، وروبرت فيتشوم، وجاك بلانس، وليكس باركر، وجوني ويسمولر، وفيتوريا دي سيكا وممثلات رائعات مثل: روزانا بودسنتا، وبربارة ستانويك، وزازاز كابور، ومارلين مونرو، وكيم نوفاك، ونيفيان لي، وجين مانسفيلد، واليزابث تايلور، وانجريد برجمان، وصوفيا لورين، وحين اليسون، وريتا هيوارث، وجين رسل، واودري هيبورن، وهايدي لامار، وافا كاردنر، وكريس كيلي، وسلفانا مونكانا، وذات الشعر الاحمر الساحر، التي تخطفها السرلمان العربيل، سوزان هيوارد، وبطلة السباحة استروليامز، وجينا لولو برجيدا، وفيرا مايلز.

ان وحيد الشاهري، ارشيفي ماهو كبير من مؤرشفي السينما العربية والاجنبية ، ويكاد مع زميله الراحل احمد فياض المفرجي، الذي كان جل اهتمامه عن المسرح العراقي، والذي يحتفظ بارشيف واسع عنه، يؤلفان ثنائيا قلما يجود بمثلهما الزمان، فضلا على القاص والمؤرشف البارع سالم العزاوي، الذي تخطفه طائر الموت بغتة، يوم الاثنين ٢١/حزيران/ ٢٠١٠ المولود في مدينة الموصل في شهر نيسان ١٩٤٥ وكان قد تخرج سالم (محمد علي) العزاوي في كلية العلوم بجامعة الموصل، إلا ان شغفه بالفن دفعه الى الانغمار في عالم الاذاعة والتلفزيون، ليقدم برامج ناجحة منها (عدسة الفن) مع الاذاعية المتألقة خيرية حبيب وبرنامج (السينما والناس) مع القاصة والمترجمة الحاذقة ابتسام عبدالله، وقدم احد اخريات ايامه عروضا رائعة تناول فيها عددا من كلاسيكيات السينما الامريكية.

ترى الى اين آل هذا الارث الارشيفي الرائع، لا الارث المادي المالي فاصحاب العقول لا أرث ماديا يخلفون، في مجتمعات لا تحترم ما يقدمون، إذ غالبا ما يضيق ابناؤهم بهذه المخلفات، وغالبا لا يكون الابناء على سر الاباء، مع ان طبائع الحياة والاشياء والمورثات والجينات والكروموسومات تفترض ان يكون الابناء على سر الاباء، وقديما قال الشاعر الجاهلي: ومن شأبه ابه فما ظلم، وهنا تأتي (أبه) لغة في اعراب لفظة (الأب) أباه، ابيه، ابوه بحسب الحالة الاعرابية!! فاذا ما رحل الأب عن الحياة، تسابق الابناء – في صورة من ابشع صور النكران والجحود والعقوق – الى التخفف من هذا العبء الثقيل، فيفرقونه بددا ولعلهم يرمون به الى حاوية الازبال!! وما غاب عن البال مصير تلك المكتبة الضخمة لمؤرخ العراق الكبير المرحوم عباس العزاوي، في حين تبرع آخرون بهذه المخلفات الى احدى الهيئات العلمية، إذ كنت ارى وانا ارتاد مكتبة المتحف العراقي بصالحية الكرخ، خزانة صغيرة تحوي كتبا للمرحوم الدكتور مصطفى جواد، وأخرى للراحل يوسف يعقوب مسكوني (١٩٠٣ – ١٩٧١/٤/١١) الكاتب المحقق التراثي، وكمل ترك الارث الرائع للكاتب الالمعي عبد المجيد الشاوي، ثاويا في بطون الجرائد، فان بعض الابناء الجباء اهتموا بما خلفه الاباء، فهذا الدكتور وليد يهتم بمذكرات ابيه القاضي النزيه محمود خالص، الذي اوصلته نزاهته لتبؤ اعلى منصب عدلي في العراق، كما اهتم محمد رضا القاموسي، بما خلفه الاديب الراحل صادق القاموسي، فاصدره بكتاب حمل عنوان (ذكرى صادق القاموسي) صدرت طبعته الاولى عن دار القاموسي للنشر والتوزيع ببغداد سنة ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م.

وبعد: لا اعرف تاريخ ولادة المؤرشف السينمائي العراقي الضليع وحيد حسن الشاهري، الكرخي الاصيل، لكنني قرأت نعيه على عدد جريدة (العراق) الصادر في الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٩٨. لقد غادرنا الشاهري وحيدا، وما اراه إلا ترك ارشيفه وحيدا – كذلك – يواجه مصيره القاتم، فلقد حدثني صديق قاص، ان كل ارشيفه من الصحف والمجلات والدوريات الذي امضى زهرة شبابه في اقتنائه حمل الى حاوية الازبال، تمهيدا لتفريغ غرفة مكتبته، كي يعرس فيها شقيقه الاصغر، وبقي صديقي القاص يندب حظه العاثر بين اهل لا يفرقون بين نتاج العقول ، والمخلفات التي مكانها الحاويات!.

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون